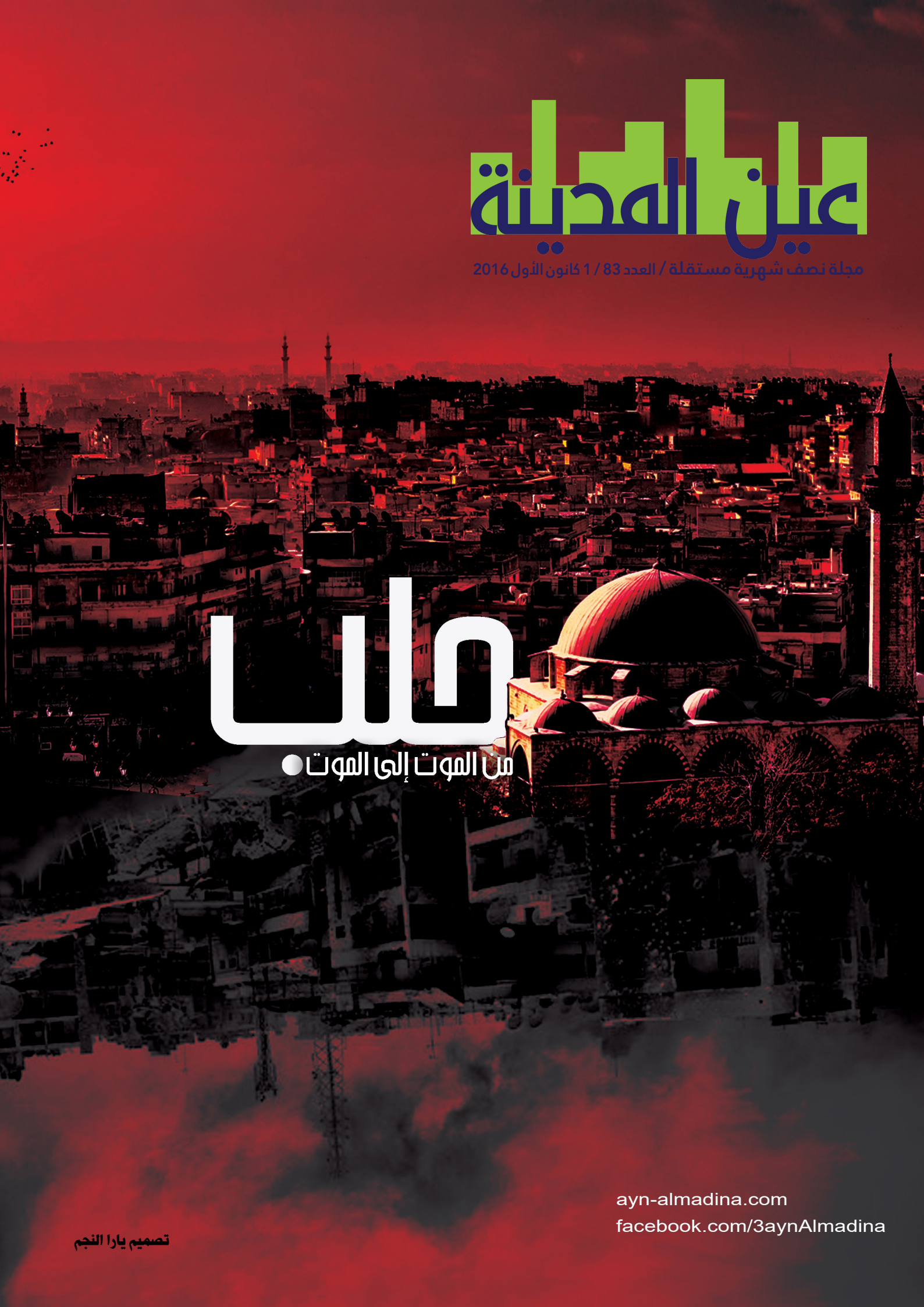
عين المدينة
مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 83 / 1 كانون الأول 2016
حلب
من الموت إلى الموت
ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina
تصميم يارا النجم

الافتتاحية

في زمن الانكسار

مرّت الأيام الأخيرة ثقيلةً على جمهور الثورة، بعد خسارة أكثر من ثلث أحياء حلب المحرّرة/المحاصرة. تضطرب الأفكار وتهتزّ القلوب مع توارد الصور المريعة. وتتطاير الاتهامات يميناً ويساراً: هو ذنب فصائل الجيش الحرّ التي غرق عناصرها في الفوضى والتجاوزات... بل جريرة تحكم الفصائل الإسلامية بالناس وانحرافها عن قيم الثورة... ولكن أين من كانوا يصدعون رؤوسنا يومياً «بشراكم»؟... بل أين من التحقوا بعملية «درع الفرات» سعياً وراء الدولار؟... ماذا حل بآلاف الانغماسيين وعشرات المفخخات ودعاوى جيش الفتح؟... ولكن أين فصائل حلب من فك الحصار عن نفسها، أم أن على إدلب والريف أن يدفعوا الثمن؟... لعن الله القائد الفلاني فهو في تركيا... بل لعن القادة داخل المدينة لا يتحدون ولا يؤازرون بعضهم بشكلٍ كافٍ في القطاعات... ما شبعوا؟!...

في معظم ما ذكر جانبٌ من الحقيقة، ممزوجةً بالكثير من المبالغات، بهدف التنصّل من المسؤولية ورميها بأي اتجاه. هذه أعراضٌ لا بد منها مع كل هزيمة، وهي من طبائع البشر أينما كانوا. وقد تبادل خصومنا اتهاماتٍ مماثلة، بين حزب الله وقوّات ما يسمّى بالنمر وبقايا قوّات النظام والطيران الروسيّ، عندما خسروا الكليات العسكرية خلال أيام منذ أشهر قليلة. نعم، لقد تجاوزنا وظلمنا وتشتتنا وتنازعنا، ولكن العقدة ليست هنا. فمجابهة جبروت دولةٍ عظمى تستخدم أعتى أسلحتها الفتاكة والمحرّمة، وقواتٍ على الأرض لا يزال مخزونها البشريّ، من لبنان والعراق وأفغانستان، مفتوحاً، فضلاً عن غدر ميليشيات PYD التي تؤازر النظام في اللحظات الحرجة؛ هي أمورٌ ليست سهلةً على الثائرين المدنيين الذين حملوا السلاح، ينتظرون تذخيره مرّةً وراء مرّةٍ بالقطارة، وقد بحّت أصواتهم طلباً للأسلحة النوعية التي تعطي المعركة نوعاً من التكافؤ، وتعهدوا أنهم سيتكفلون بالباقي بشجاعة.

ولكن هل هزمنا وانتهى الأمر؟ لا بالتأكيد. فالأحياء الباقية من حلب مكتنزةٌ بالمقاتلين الذي تعاهدوا على الصمود، وإخوانهم خارجها لن يتركوهم رغم نقص العتاد. وحتى لو خارت السواعد نتيجة الجوع، وفرغ مخزن البندقية فسقطت المدينة، فالثورة ليست حلب وحدها، ولن يستمرّ الاحتلال الطائفيّ بالقوّة العارية. للقلوب التي بلغت الحناجر اليوم، ولضيق الصدر والجزع الملحوظين الآن رأيٌ آخر، لكننا سننتصر.

3 مخبرو تنظيم الدولة.. مشاهد من دير الزور

5-4 «طالبان الشام» فرع جديد للقاعدة في سورية

7-6 200 متر للموت في منبج

8 سيد رماة التاو شهيداً

14 الموصل بوصفها دابق الفعلية

15 الشيخ سرور زين العابدين والسلفية الحركية

17 الفصائل الإسلامية، هل تقرأ التاريخ؟

19 من سيرة قومي عربي

مخبرو تنظيم الدولة

مشاهد من مدينة دير الزور

سمهر الخالد

من الصعب وصف الحياة في مدينة دير الزور إلا بأنها عجائبية. فالمدينة لم تعد صالحةً للحياة، بسبب الدمار الكبير وتوقف سبل العيش أمام الأهالي، الذين لا يتجاوز عددهم بضعة آلافٍ بكثير، في ظل فرض تنظيم الدولة الإسلامية البؤس والقهر فرضاً، بوضع الجميع تحت مجهر عناصره وأعوانه، ودفعهم إلى التوبة عن الكرامة.

في حيّ العمال، جنوب المدينة، بعد أن قصفت الطائرة بقليل، وتفرّق الناس عن الخراب الذي أضافته إلى الخراب السابق؛ شاهد أبو إبراهيم العمال، من بيته القريب، شاباً غريباً يصوّر في الحارة بجواله، فتوجه (متطوعاً) إلى نقطةٍ قريبةٍ للأمنيين وأخبرهم بأمر الشاب، معتقداً أنه «يصوّر مقرات»! اعتقل الأمنيون الاثنين، وبعد ساعاتٍ تركوا المصور، لأن أقاربه أمنيون كما يشاع، وأبقوا على أبو إبراهيم الذي اعترف لاحقاً أنه افترى على الشاب. لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، ففي مثل هذه الحالات يسعى الأمنيون إلى تجنيد صاحب الإخبارية، بالمال أو بالتخويف. وقد نجح مسعاهم مع أبو إبراهيم، فقد اعتقلوا، بعد أيام، جاره وجارته اللذين اعترفا بتهمة الزنا التي وجهت إليهما، وحولوهما إلى محكمة المدينة في قرية الشميطية، وبعد مدّةٍ رُجما أمام حديقة المشتل في شارع التكايا، ثم نقلت جثتاهما إلى مشفى فارمكس، وهناك اكتشفوا أن المرأة ما زالت على قيد الحياة، فأجهز عناصر التنظيم عليها.

تحول مشفى فارمكس إلى الإسعاف فقط، بعد أن نقلوا معداته إلى خارج المدينة، وصار يتقاضى أجور الإسعاف من المصابين والمراجعين. ظل الدكتور محمد يعمل في المشفى حتى شهر من الآن، إذ بعد أن اعتقل الأمنيون عمه المسنّ بلغه أنه مات تحت التعذيب. فصار يردد، أمام المعارف والعاملين معه، أنه سيترك العمل في المشفى، الأمر الذي يلجأ إليه العاملون مع التنظيم لجسّ ردة الفعل قبل الإقدام. وصل الخبر إلى والي «ولاية الخير» (دير الزور)، الذي استدعاه وحضّه على الشكوى ضد الأمنيين والجلادين والواشي (محمود، أعطاه اسمه الكامل)، لكن الطبيب أصرّ على ترك العمل، وفوّض أحد أقربائه، من عناصر التنظيم، بمتابعة القضية. وتفيد الأخبار المتناقلة أن الدكتور ترك الشكوى بعد أن التقى بالمسؤول الأمنيّ، أبو علي حواجز الإدلبي، الذي قال له باقتضاب: «انتبه على حالك، سمعنا إنك رح تشتكي».

تحيط بمشفى فارمكس جمعياتٌ سكنية. وفي إحدى تلك الكتل، دائمة الاستهداف من سلاح النظام، يقطن عمر مع أولاده وزوجته، إلى جانب عددٍ من الأسر لا يتجاوز أصابع اليدين يتوزعون بين ستٍّ وتسعين شقة، يحفظون ما بقي من محتوياتها، في حدود الإمكان، ويعتمدون كثيراً عليها بعلم أصحابها، أو بدونه. كان عمر قد فك «مطور المي» الخاصّ بأحد بيوت الجيران النازحين، وركّبه مكان جهازه المعطل، فاعتقلته «الشرطة الإسلامية» بعد مدّةٍ وساقته إلى مقرّها خارج المدينة، حيث بقي ثلاثة أسابيع، عرف خلالها أن صديقه أبو إبراهيم العمال وشى به، فاعترف أن جميع الأغراض التي استعارها من الجيران سرقة، وغرّم بخمسة وأربعين ألف ليرة، بعد أن أتى به أبو عبد الله من الشرطة (مساعد أول سابق) إلى بيت الجيران وطلب منه تمثيل الجريمة! وهنا تدخل شابٌّ من الجوار وأخبرهم أن أصحاب الشقة تركوا مفتاحها معه، وأنه من أعطى عمر الأغراض، بعد إذن أصحابها. أخلت الشرطة سبيل عمر، بعد أن أخذت مفتاح الشقة والأغراض، وطلبت أن يرسلوا صاحبها إلى الشرطة حين عودته. يروي الشاب أنه، بعد رحيلهم، أخرج باكيته ليضيّف عمر، الذي اعتاد على ذلك لأنه لا يملك ثمن الدخان غالباً، فرفض التدخين رفضاً غريباً، وصار يصيح مبتل العينين «باقية باقية»، ثم سكت ليجهش «ذلوني...».

غير بعيدٍ عن بيت عمر، في الكتلة السكنية ذاتها، فتح أبو علي بقاليةً تحوي بعض الضروريات فقط، حين يتيسر له شراؤها. يجلس في البقالية أكثر الوقت ابنه علي، المهووس بالشعر، مع فتيةٍ من الجوار، يسمع المارّون أحاديثهم من مسافةٍ بعيدة. ورغم أن محمود الراصد، الذي يعيش في الكتلة السكنية المقابلة، استطاع أن يضبط إيقاع حياة السكان على مزاجه، لكن الفتية لم يكونوا يأبهون له كثيراً أو يأخذونه على محمل الجد، حتى وقتٍ قريب، حين كان علي منهمكاً في الحديث، وندّ منه بصوتٍ عالٍ «إن غداً لناظره قريب»، بالمصادفة مع مرور محمود على دراجته الهوائية، ومن يومها علي معتقلٌ لدى الأمنيين.

حي العمال – عدسة من دير الزور – خاص

«طالبان الشام» فرعٌ جديدٌ للقاعدة في سورية

سعد عبد الباري

قضيةٌ جديدةٌ أثارت الجدل على نطاقٍ واسع في أوساط المجتمع السلفيّ الجهاديّ في سورية، هي النية المفترضة لبعض الشخصيات المنشقة عن جبهة فتح الشام بتشكيل فصيلٍ جديدٍ يتخذ اسم «طالبان الشام» ويعلن بيعته لأيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة.

وحسب الأنباء المتداولة مؤخراً، فإن أمير جبهة النصرة السابق في درعا ثم الساحل، إياد الطوباسي، المعروف بأبو جليبيب (أردني الجنسية)، والقيادي الأمنيّ والشرعيّ السابق للنصرة في درعا وبادية الشام، بلال خريسات، المعروف بأبو خديجة (أردني الجنسية كذلك) هما من أطلق الدعوة إلى مشروع هذا الفصيل، بتوجيهٍ من بعض المرجعيات السلفية الجهادية وعلى رأسها أبو محمد المقدسي. وراج قبل أيام -وعبر مقربين من أبو جليبيب على ما يبدو- ردٌّ نسب إليه في موقع التواصل تويتر، يكذب فيه جملة من الشائعات المتعلقة به، نافياً رغباته في «التغلب» والسيطرة، واضعاً نفسه في إمرة «القيادة العامة لتنظيم قاعدة الجهاد»، دون أن يوضح حقيقة ما يذاع حول «طالبان الشام» أو أيّ فصيلٍ قاعديٍّ قيد التأسيس.

في آب الماضي، وبعد أيام من إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة وتحوّلها إلى «فتح الشام»، أعلن خريسات ثم الطوباسي انشقاقهما عن التنظيم الجديد وأكدا بيعتهما للظواهري، وكذلك فعل القائد العسكريّ المخضرم في النصرة سمير محمد حجازي المعروف بأبو همام الشامي، إضافةً إلى آخرين من قادة الصف الأول والثاني للجبهة، وإن في نطاقٍ فرديٍّ ومحدود. ومن جانبها لم تبدِ فتح الشام أي ردات فعلٍ على هذه الانشقاقات طالما بقيت فرديةً ولا تهدد وحدتها. وخلال الأشهر الثلاثة الأخيرة اندلعت أزماتٌ عدّةٌ في أوساط الجهاديين في سورية، كان أبرزها فشل الجهود التي قادتها فتح الشام لتوحيد الفصائل والجماعات في كيانٍ واحد، وهو الشرط غير المعلن الذي فرضه الظواهري على الجولاني، أمير جبهة النصرة، لقبول فك الارتباط، وفق ما تقول بعض الشائعات. وكذلك جاءت المعارك المندلعة بين حركة أحرار الشام وجماعة جند الأقصى، ثم إعلان الأخيرة حل نفسها وانضمامها إلى فتح الشام، وتشكيك الأحرار وآخرين في جدية هذا الخطوة من جانب الجند. وجاء فشل جيش الفتح في كسر الحصار المفروض على الأحياء الشرقية في حلب، ثم تمكن قوات الأسد من تحقيق تقدمٍ ملحوظٍ على جبهاتٍ عدّةٍ هناك، ليعمق الأزمة بين الفصائل المجاهدة أو بين قادتها. وعلى هذا الأساس انطلقت الدعوات في التخاطب المباشر، أو من خلال معرّفاتٍ شهيرةٍ على تويتر، لتأسيس فرعٍ لتنظيم القاعدة «يصحح الانحرافات المتراكمة عن جادة الصواب، وينهي حالة الفرقة والتناحر بين الفصائل، ويجمعها طوعاً أو كرهاً تحت رايةٍ واحدة». وأعيد تداول المثال الأفغاني بعد هزيمة السوفييت، حين تقاتلت جماعات المجاهدين الأفغان إلى أن ظهرت حركة طالبان التي هزمتهم جميعاً وجمعت شمل الجهاد تحت رايتها. ولعل الأمنية التي بثها المقدسي أولاً لاستلهام هذا النموذج، ثم دعوته الصريحة: «أنصح من انشق عن الفصائل خوفاً من انحراف جهاد الشام أن لا يكونوا سلبيين، جمعوا أنفسكم وكونوا طالبان شامية» التي أطلقها في أيلول الماضي، كانت الضوء الأخضر لتابعيه النظريين للعمل على تأسيس الجماعة المنشودة. وفي الأسابيع الثلاثة الفائتة اشتدت الصدامات الكلامية على الإنترنت بين فريقٍ معتدلٍ -نسبياً- في فضاء فتح الشام أو من أعضائها في جهة، وأنصار المقدسي في جهةٍ أخرى، إثر النشاط المحموم للأخيرين -بأسمائهم المعروفة أو بأسماءٍ وهمية- في الدعاية لطالبان الشام، واتهام قادة الفصائل أو بعضهم -دون تسميتهم- بـ«التمييع» و«الإرجاء» والتفريط بثوابت الجهاد، فيما اتهم الطرف الآخر دعاة «طالبان الشامية» بالغلو وبث الفتنة، وأحياناً بالعمالة لأجهزة المخابرات.

وتنقل مصادر خاصةٌ أنباءً غير مؤكدةٍ عن انشقاق عشرات المقاتلين في مجموعاتٍ عن جبهة فتح الشام في الجنوب السوري، بعد أن خلعت بيعتها للجولاني وأكدت أو استأنفت بيعتها لزعيم القاعدة وتحت إمرة أبو جليبيب، ثم اعتزلت القتال على أيٍّ من الجبهات ضد قوات الأسد أو ضد تنظيم داعش المسمّى هناك «جيش خالد بن الوليد»، مكتفيةً

التغلب

تسمح فتوى التغلب لجماعةٍ ذات قوةٍ وبأسٍ بقتال الجماعات الأخرى بهدف إخضاعها وتوحيد صف المسلمين تحت رايةٍ واحدةٍ وقائدٍ واحد. وتجيز الفتوى إقرار ولاية المتغلب، وتشترط الحذر وتجنب الفتنة وإراقة الدم الحرام. وكان الإمام أبو المعالي الجويني (القرن الخامس للهجرة) أول من تحدث في هذا الباب في كتابه «غياث الأمم في التياث الظلم». واستعمل شرعيو داعش فتوى التغلب في مناظراتهم مع شرعيّي الفصائل الإسلامية الأخرى.

بالتدريب في معسكرٍ خاصّ. ولوحظت -حسب تلك المصادر- حركةٌ نشطةٌ من أتباع أبو جليبيب في شراء الذخيرة والسلاح والسيارات بعد أن تلقى مبالغ طائلةً أرسلت من الأردن عبر وسطاء، دون معرفة مصدرها إن كان تنظيم القاعدة أو متعاطفين محليين أو مصادر أخرى.

وفي ريف حماة، حيث ما تزال جماعة جند الأقصى تحافظ على تماسكها وعلى استقلالها العمليّ، رغم إخفاء راياتها كخضوعٍ شكليٍّ لبيعتها فتح الشام، وجد دعاة الحركة الجديدة في اجتذاب الجند هدفاً مثيراً بين أهدافهم، من غير أن تبدر عن الجند حتى الآن أيّ دلالاتٍ تؤكد استجابتهم وفق ما يشاع. لكن قد يكون التشدد الذي يتسم به الفريقان، والضرر المعنوي الذي لحق بهما -كلٌّ في سياقه- وما يولده من رغبةٍ في الانتقام، ومشاعر الغضب من «انحراف الجماعات»؛ عوامل مساعدةً في التقريب بينهما على هذا

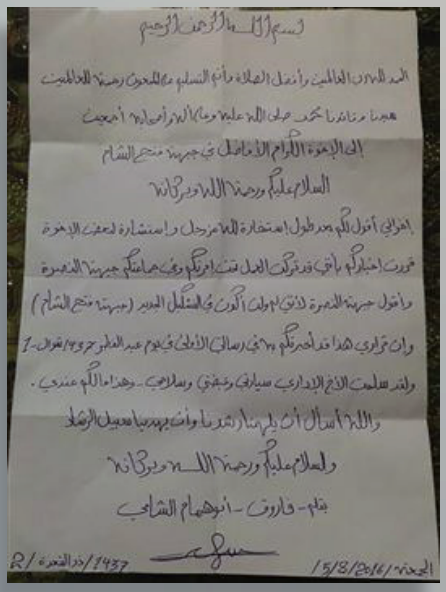

المشروع رغم اختلافهما البيّن في الموقف من داعش، إذ يميل الجند إلى تفهم غلو التنظيم، وربما تأييده في السر، بينما قاتل أبو جليبيب «الدواعش» في حوران، وتعامل بقسوةٍ مفرطةٍ مع السجناء في قبضته ممن اتهموا بالانتماء إلى التنظيم أو التعاون معه. كما ستقدم الانتكاسات العسكرية في الحرب مع قوات الأسد أعضاءً محتملين لتلك الحركة من مختلف المكونات المقاتلة بدوافع اليأس والاحتجاج على جماعاتهم وعلى الجبهات المتردية. وحتماً سترفد فئاتٌ من المغامرين، والمطرودين من فصائلهم، والعاطلين عن العمل، الحركة الجديدة إن هي أبصرت النور وتحقّق لها ما يلزم من تمويلٍ وتنظيم مناسبين. وأيضاً سيجد المفتونون بفكرة «التغلب» التي كثر الجدل حولها فرصتهم في طالبان الشام على أمل أن تتغلب على الجميع كما تغلبت طالبان الأولى.

حتى الآن لم يتأكد قبول القاعدة البيعات من سورية أو رفضها، ولم تصدر عن أيٍّ من شخصيات الطبقة العليا في التنظيم أيّ إشاراتٍ مشجعةٍ أو مستنكرةٍ ازاء نشاطات أبو جليبيب. لكن بعض التكهنات تذهب إلى فرضية تعاطف القيادي التاريخيّ «سيف العدل» مع تأسيس فرعٍ جديدٍ لقاعدة بلاد الشام، بعد أن استأنف دوره عقب إطلاق سراحه من الإقامة الجبرية في إيران في آذار من العام الماضي. وتستند هذه التكهنات إلى موقف سيف العدل الرافض بشدةٍ -قبل أن يتراجع- لفك الارتباط عند طرح القضية على قادة القاعدة قبل أشهر من الإعلان عنها، حسب ما أشيع وقتها تبريراً للتأخر. وفي المستويات الأدنى من سيف العدل قد تجد طالبان الشام اهتماماً خاصاً من مجاهدٍ أردنيٍّ مخضرم هو أبو القسام، خالد العاروري، رفيق أبو مصعب الزرقاوي منذ التسعينات وزوج أخته ونائبه في العراق، الذي أطلق سراحه مع سيف العدل ضمن الخمسة المفرج عنهم من إيران، ويعضد هذا الرأي نشأة العاروري المبكرة على يد المقدسي.

تقف في وجه طالبان الشام أو دعاتها جملةٌ من العقبات، أبرزها تاريخ أبو جليبيب في قيادة جبهة النصرة في الجنوب، حيث فشل في الحفاظ على وحدة التنظيم، وتسبب في انشقاقاتٍ جماعيةٍ وفرديةٍ متتالية، كانشقاق لواء اليرموك، ومجموعةٍ كبيرةٍ أخرى أسمت نفسها «جند الملاحم»، وأخيراً انشقاق عشرات الأردنيين بعد سجنه لشيخ أردنيٍّ هو محلّ احترامهم وتقديرهم وتعذيبه حتى

إياد الطوباسي «أبو جليبيب»

الموت. كما يتهم أبو جليبيب بالمسؤولية عن عشرات عمليات الاغتيال التي وقعت في درعا العام الماضي، ثم فشله في التصدي لتوسع تنظيم داعش مما أدى إلى احتلاله وادي نهر اليرموك وجزءٍ كبيرٍ من الريف الغربيّ في المحافظة. كذلك يشكل حرص الجولاني المتنامي على وحدة تنظيمه عائقاً قد يفشل أيّ محاولة توسع محتملةٍ لأبو جليبيب داخل الكتلة الرئيسية فتح الشام. وسيكون عجز طالبان الشام المتوقع عن تحقيق انتصاراتٍ عسكريةٍ هامةٍ مع النظام في أشهرها الأولى عاملاً في خسارتها الزخم المرافق للولادة. وقد يؤدي ضيق الحيّز الجغرافيّ المناسب إلى هامشية الحركة وتعرضها المبكر لتهديداتٍ ومخاطر هائلةٍ بينها غارات التحالف الدوليّ، ومواجهات غير متوقعةٍ مع التشكيلات الأخرى.

قد يولد فرعٌ جديدٌ للقاعدة في سورية، خلال الأسابيع أو الأشهر القادمة، باسم طالبان الشام أو بأيّ اسم آخر، لكنه لن ينجح حتماً في تحقيقه أهدافه المبتغاة، بل سيشكل عبئاً جديداً على لوحة الصراع السوريّ المعقدة.

سيف العدل: يرجح ان اسمه محمد صلاح زيدان. كان ضابطاً في الجيش المصريّ قبل أن يتهم بصلاته بحركة الجهاد الإسلاميّ، ليلتحق بعد ذلك بالمجاهدين العرب في أفغانستان أواخر ثمانينات القرن الماضي، ويلعب في العقد التالي أدواراً مهمةً وتأسيسيةً في نمو تنظيم القاعدة واتساع قدرته القتالية. لجأ إلى إيران واعتقل هناك في العام 2002، وأطلق سراحه في العام الفائت ضمن صفقةٍ مقابل أن يطلق فرع تنظيم القاعدة في اليمن سراح دبلوماسيٍّ إيرانيٍّ اختطفه عام 2013.

200 مترٍ للموت في منبج

مصطفى أبو شمس

حين تدخل إلى مدينة البحتري وعمر أبو ريشة، وتمرّ بأبي فراس الحمداني وهيرابوليس، لا بدّ أن تقف على عتبات التاريخ وتستنشق على أعتاب فاتيكان الشرق عبق الحضارة، «فللماء طعمه وللحجارة لونها وللناس حكاياتهم». وإن كان لكلّ زمنٍ تاريخه وحضارته ورجالاته فإن «حيّ الحزاونة» يختصر منبج الثورة ونضال أبنائها، حصارهم وجوعهم وحكاياتهم.

يقع حيّ الحزاونة -أو «حيّ الكرامة» كما أطلق عليه أبناؤه منذ بدء الثورة في سورية- وسط المدينة في الجهة الجنوبية، ويشكل ثلث مساحة منبج البالغة ألفي هكتار. ويمثل الحزاونة الحيّ الشعبي الأكبر في ثاني أكبر مدينةٍ في المحافظة بعد حلب. وبينما راح البناء الحديث يتطاول في أغلب مناطق منبج، وباتت الأبنية الطابقية الحديثة واضحةً في الأحياء المجاورة، ظل حيّ الحزاونة محافظاً على أبنيته العربية العشوائية المتداخلة وأسطحه المتلاصقة. وكأغلب الأحياء الشعبية في سورية كان يعيش حالةً من الفقر وغياباً للخدمات وكثافةً سكانيةً كبيرةً جعلته من أكثر الأحياء في منبج ازدحاماً.

التصق أبناء الحيّ بالثورة منذ بدايتها، فعمت المظاهرات معظم شوارعه، وخرج أهله آملين بالتغيير ورافعين علم الثورة وأهدافها. تحرّر الحيّ من قبضة نظام الأسد في تموز 2012، ليدخله تنظيم الدولة في 23 تشرين الثاني 2014، ولتصبح منبج منذ ذلك الوقت تحت حكم التنظيم بموقعها الاستراتيجيّ، لأنها تقع على الطريق الممتد من الشمال إلى الجنوب بين جرابلس -التي كانت تسيطر عليها داعش وقتها- على الحدود مع تركيا ومدينة الرقة «عاصمة» التنظيم في سوريا.

أبو إبراهيم صاحب أحد المحلات التجارية في حيّ الحزاونة، ويعرف كل سكانه، على حدّ قوله، بعد أن أمضى سنواته الخمسين منذ ولادته بين بيوت الحيّ القديم؛ قال إن الحيّ يجمع كل الطوائف والعشائر والملل. تُعرف الشوارع هنا بأسماء العائلات على الأغلب. عشت كل قصص الحيّ ومظاهراته واشتباكاته ودخول التنظيم إليه، ولكن ما حدث في تموز 2016 لن تستطيع أن تراه حتى في السينما. إلى الآن لا أستطيع التصديق كيف استطعنا النجاة في ذلك اليوم!

في 31 أيار 2016 بدأت قوات سوريا الديمقراطية هجومها على المدينة لاستعادتها من أيدي عناصر تنظيم الدولة، وبدأت طائرات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بقصف منبج بكاملها، وكان نصيب حيّنا النصيب الأكبر... «الفقراء دائماً يدفعون الثمن».

لم تكن لدينا ملاجئ لنحتمي من القصف. تنظيم الدولة، حين دخل المدينة، اختار الأبنية الحديثة والشوارع الراقية لسكنه، كان وجوده في حيّنا للمرور فقط. ومع تقدم قوات سوريا الديمقراطية إلى دوار المطاحن من الجهة الجنوبية الشرقية لحيّنا، وإلى القرب من دوار الدلة شمال الحيّ؛ تمركز التنظيم في مدرسة محمد راغب هارون في منتصف الحيّ، وعلى أسطح المنازل، فزادت حصتنا من ضربات التحالف الجوية ومدفعية الأكراد، وكان التنظيم يزيد الأمر سوءاً بقنص كل من يحاول الخروج.

لم تكن هذه المرّة الأولى التي استهدفنا التنظيم فيها، فقد فعلها في 19 تشرين الثاني 2015 عندما خرجنا في مظاهرةٍ ضد ممارساته وطالبناه بالخروج من المدينة، فأطلق علينا النار واعتقل بعض شباب الحيّ وفرض حظر التجول. التنظيم لا يحبنا، وكانت دائماً تصلنا أحاديث من بعض المتعاملين معه أن «حيّ الحزاونة وأبناءه خونة»!

أجبر القصف الشديد على المدرسة التنظيم على إخلائها والخروج من الحيّ. بات الحيّ خالياً من التنظيم ومحاصراً من قوات سوريا الديمقراطية في بداية حزيران. عشنا أياماً عصيبةً في ظلّ الحصار، لم يعد هناك ما نأكله. صار الدخول إلى الحيّ أو الخروج منه أشبه بمهمةٍ مستحيلةٍ تعرّض صاحبها للقنص. وصار البقاء مستحيلاً أيضاً، فطائرات التحالف تقصف الحيّ بلا هوادة، علاوةً على الاشتباكات التي كانت أصواتها وطلقاتها تصل إلينا في كثير من الأحيان. بيوتٌ كاملة هدّمت فوق أصحابها، بناية محمد السعيد ضربتها الطائرة فقتلت خمسة عشر شخصاً من عائلة واحدة.

حاول بعض الناس الخروج فقنصهم التنظيم. بقيت الجثث في الطريق الفاصل بين دوار الدلة والحزاونة -المرصود بقناصين من الطرفين- فلم نستطع سحبهم. لم يكن حيّنا الوحيد الذي يعاني، فقد سمعنا عن ستة أشخاصٍ قنصوا على «براكية

الخبز» عند دوار طريق الجزيرة، وداخل الأحياء. حتى أني سمعت عن رجلٍ قنص ولم يستطيعوا سحبه لدفنه فصار أهله يرمون عليه الحجارة و«تنك الزرع» والتراب من الشبابيك لتغطية جثته... «يا لموتٍ لا يكرّم صاحبه بدفنه».

قطعت الكهرباء عن حيّنا وصار إخراج الماء من البئر مستحيلاً. لم تكن كل البيوت قد حفرت آباراً. استعنت بمولدتي ومددت الخراطيم لمعظم أهالي الحيّ لضخ المياه إليهم. وفقد الخبز الذي أصبح مغموساً بالدم والرصاص، وكان الغذاء قد نفد.

في الرابع من تموز اجتمع معظم الأهالي أمام دكاني لإيجاد حلٍّ لما نحن فيه. كانت قوات سوريا الديمقراطية قد وصلت من الجنوب إلى الجزء الشماليّ من الحزاونة، ومن الجنوب الغربيّ حتى دوار السبع بحرات، مع بقاء بعض الأبنية غربيّ الدوار بيد تنظيم الدولة، ومن الشمال إلى الجهة الشمالية من شارع الرابطة، ومن الشرق والشمال الشرقي قرية المنكوبة وخلف الفرن الآلي. وكان حيّنا خالياً من التنظيم من دوار الدلة حتى مبنى المرور، ولا تقدم للأكراد أو للتنظيم من شمال مدرسة راغب هارون، لأنها مرصودةٌ من قناصات الطرفين حتى شمال الدوار بحوالي 200 متر.

لم يكن أمامنا سوى هذا الطريق للخروج من الحصار. كان القرار صعباً، كلنا كنا خائفين ولكن الحياة تضعك -في أغلب الأحيان- أمام خيارٍ واحد، سيموت بعضنا ولكن بعضنا الآخر سينجو.

كانت الخيارات المطروحة أمامنا بين أن نبقى لنموت في بيوتنا وبين أن نخرج ويحظى بعضنا بالحياة لينقل قصتنا.

مئتا متر تفصلنا بين الحياة والموت. هذه المسافة، التي لم نكن ننتبه لها غالباً، هي المسافة بين الإيمان المطلق واللاإيمان، بين الجحيم والجنة.

اتخذنا قرارنا بالخروج من الحيّ في اليوم التالي. اتفقنا أن نجهز أنفسنا للرحيل ونلتقي في مدخل الحيّ. علينا أن نهرب فقد نفد صبرنا. في تلك الليلة قصف طيران التحالف حيّنا، ليلنا صار نهاراً من كثرة استخدام القنابل المضيئة. كنت نائماً في أرض بيتي عندما اهتزت جدران المنزل فدخلت إلى الغرفة وحاولت أن أعاود النوم. نسيت كل ما يحدث في الخارج وانحصر تفكيري وقلقي في رحلة الغد.

في صباح 5 تموز تجمّعت أكثر من مئة عائلة، عشرات وسائط النقل، سياراتٌ شاحناتٌ موتوراتٌ دراجاتٌ هوائية، أناسٌ بلا وسائط نقل، أخرون تعلقوا بالشاحنات، وبعضهم جلسوا في «باكاج» السيارات. والكل يترقب لحظة الخروج من الجحيم.

صوت بكاء الأطفال والنساء طغى على المشهد وكأنه يوم القيامة. عليك أن تبحث عن موطئ قدم في هذا الرتل. الرجال الذين لا يملكون وسائط نقل وضعوا أطفالهم كأمانة في سيارات مكتظة لآخرين والنساء حُشرت، «المسافة كلها مئتي متر، دبروا حالكون». تفرّقت العائلات في أكثر من سيارة، ومن لم يكن له مكانٌ قرّر الركض إلى الجانب الآخر.

عندما اكتمل الموكب، وكنت في سيارتي التي ملئت عن آخرها، طلبت من الجميع أن «يتشاهدوا» وقرأنا الفاتحة. كانت اللحظة الأهم. شعرنا أن جلودنا قد اقشعرت، وبدأ البرد يتسرّب إلى أصابعي. الجميع يتلفظ بكلمة «يا رب» وعيوننا متجهةٌ إلى الطرف الآخر من الطريق.

بعد أن «حمّينا» السيارات انطلق الموكب بأقصى سرعة. لا أعرف وقتها سرعتي حقيقةً، ولم يكن عندي متسعٌ من الوقت للنظر.

انطلقت أمامي دراجةٌ ناريةٌ، وصرت إلى جانبها، وورائي عشرات السيارات والدراجات وأشخاصٌ يركضون محتمين بالموكب.

بدأت أصوات الرصاص تصل إلى سمعي. لم يكن قناصاً فقط، فقد استخدم التنظيم رشاشاً أيضاً. كان الرصاص «كزخّ المطر». المرأة على الدراجة النارية أمامي أصابتها رصاصة القناص وقذفتها من خلف زوجها. مرّت أمامي كما لو أن الموج يسحب جثتها. وبدأت قوات سوريا الديمقراطية بالردّ على مصادر النيران لمساعدتنا.

الازدحام الشديد أعاقنا، السيارات تضرب بعضها لتحيد عن الطريق. مرّت دقائق شعرت بأنها سنوات. رأيت الموت أمامي، وحين وصلت إلى الجانب الآخر شعرت بأني ولدت من جديد.

40 شخصاً كانوا قد ملأوا الطريق. كنا نراقبهم من الضفة الأخرى، بعضهم ما زال يتحرك، والرصاص لم يتوقف بعد. كلهم استشهدوا أمام أعيننا، بعضهم كان قد فارق الحياة وبعضهم كان يحاول الزحف للوصول فتلتقطه رصاصة القناصة.

معظم الناجين قد أصيبوا أيضاً، فمن لم يصل إليه الرصاص أصيب بحوادث السير التي جرت، وسقط بعضهم من «باكاج» السيارة الممتلئ نتيجة الاصطدام بالسيارات الأخرى. «لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه».

في الجانب الآخر عانقنا بعضنا وبكينا. كانت غريزة البقاء أقوى من الألم. كان زوج المرأة التي استشهدت أمامي يقف ناظراً إليها، لعله كان يفكر في العودة. كل ما أذكره أنه نادى باسمها ثم قال «كانت حامل» وبكى كما يبكي الأطفال.

نازحون من مدينة منبج - Getty

سيّد رماة التاو
الذي يعرفه حزب الله جيداً

أبو محمد الإدلبي

نهضت في صباح باكر من صباحات الصيف الماضي. حملت جسدي المنهك ومشيت في أزقة القرية. كان المرض الصعب الذي داهمني فجأةً قد أوهن عزيمتي النفسية والجسدية. توقفت عند أحد المطاعم الشعبية وتناولت إفطاراً شهياً على الرصيف. أحسست بالنشوة وبإحساس غامر بالرضى والقناعة لأني لا أزال أستطيع رؤية الحقول الساحرة في الصباحات الجميلة، ولا أزال أستمتع بكل هذا البهاء. نهضت متثاقلاً بعد أن شربت بعض الماء البارد وكأساً من الشاي. في قريتنا لي صديقٌ عزيز، الدكتور حسن. كنت أمرّ به كل صباح، تقريباً، في عيادته السنّية التي يبدأ العمل فيها باكراً جداً. كان يضطرّ أحياناً إلى العمل من السادسة صباحاً وحتى المساء بسبب الازدحام الشديد. كان يعالج عدداً كبيراً من الفقراء، وكل الثوار، مجاناً، مهما بلغت تكلفة العلاج. أدخل إلى عيادته، ألقي عليه تحية الصباح، نتبادل أحاديث السياسة والثورة وأخبار جبهات القتال، ثم أعود إلى المنزل.

في ذلك اليوم قال لي، بابتسامةٍ ومحبةٍ أخويةٍ عميقة: الحمد لله صحتك اليوم جيدة ومعنوياتك مرتفعة. أجبته: الحمد لله، نصبر على حكمه، لكن وضعي ليس جيداً. فأجابني بكلماتٍ مواسيةٍ بهدف تقوية معنوياتي وشدّ عزيمتي، ثم سألني: هل تعلم من زارني البارحة؟ أجبته ضاحكاً: أعرف طبعاً؛ حوالي سبعين شخصاً، فمن تقصد بالضبط؟ قال: صديقنا العقيد أحمد السعيد، أبو البراء. أخبرني أنه قد دمر دبابةً أخرى لعصابات الأسد في الأيام الأخيرة. كان فرحاً جداً وأخبرني عن أوضاع الجبهات وبشرني بأنها ممتازة، ولله الحمد. وقد أفسدت عليه فرحته عندما سألني عنك وعرف بمرضك. وهو يبلغك تحياته ويدعو لك بالشفاء، ووعدني بزيارتك قريباً.

ذهبت بذاكرتي إلى اليوم الذي تعرفت فيه إلى العقيد منذ حوالي العام. وقتها ذهبت مع الدكتور حسن إلى قريته ترمانين، وهناك قال لي: سأعرّفك إلى شخص رائع، عقيدٍ منشقٍّ عن الجيش. إنه أحمد السعيد، أبو باسل. كان اسمه أبو باسل في تلك الأيام، وغيّره إلى أبو البراء في أيامه الأخيرة. عندما سألته مع من يعمل الآن قال لي إنه يعمل في قطع الحجارة. فوجئت، وعرفت أنه من النوع الذي لا يلهث وراء المال، ولم يبع نفسه للتافهين الذين استثمروا عملهم في بداية الثورة ليفسدوا في ما بعد. قال صديقي متابعاً: عمل مع أحد الفصائل في البداية، وعندما رأى بعض الانحرافات تركه وصار يعمل في قطع الحجارة كي يبقى محافظاً على مبادئه واستقامته. وصلنا إلى المنزل فرأينا طفلاً صغيراً يركض إلينا. سلمنا على الطفل وسألناه عن والده فأجاب أنه في الداخل، ثم ذهب فرحاً يبلغ أباه بقدومنا. لحظاتٌ قليلةٌ وإذ به يسرع إلينا وكلمات الترحيب تملأ المكان. كانت ابتسامته واسعةً والسرور بادياً على وجهه. جلسنا في شرفة المنزل وتبادلنا الأحاديث المعتادة عن الثورة والسياسة وهموم العيش. كان أبو البراء في حوالي الخامسة والأربعين، ذا بنيةٍ جسديةٍ قوية، ووجهٍ لا تغيب عنه الابتسامة حتى وهو صامت. حكى لنا أن أحد الأحزاب عرض عليه العمل معه، ولكن هذا الحزب -حسب قوله- لا يعمل على الجبهات، بل يريد جمع الضباط معه في العمل السياسيّ، مما يفقدهم قيمتهم العسكرية. رفض أبو البراء بشكلٍ قاطع. عرض عليه الدكتور حسن حينها الانضمام إلى جيش المجاهدين فوافق. بعد يومين علمت أن الأمر قد تمّ وأن أبو البراء صار يمارس هوايته باصطياد آليات النظام. وكلما زارنا كان يخبرنا عن تدميره دبابةً أو عربة Bmp أو رشاشاً ثقيلاً.

كنت أستعيد هذه الذكريات وأنا عائدٌ إلى المنزل. بعد مدّةٍ قصيرة، وفي مساءٍ صيفيٍّ منعش، جاء أبو البراء لزيارتي مع بعض الأصدقاء. عانقني، وظل برهةً ممسكاً بيدي وهو يقول كلماتٍ مواسية، معبراً عن دهشته لمرضي المفاجئ، وكنت أجامله بكلماتٍ مماثلة. كانت سهرةً لا تنسى. ودعني ووعدني بزيارةٍ قريبة.

بعد عدة أيام وفى بوعده. جاء في سيارةٍ عسكريةٍ مموهةٍ ومطليةٍ بالطين الأحمر. كان برفقته ابنه الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة. جلسنا نتبادل الأحاديث وطلب مني أن أذهب إلى تركيا للعلاج. بعد أن شرب قهوته استأذن بالانصراف لأن لديه موعداً، إذ سيأخذ عدداً من المجاهدين إلى الجبهة. كان ذلك اللقاء الأخير. بعد مدّةٍ قصيرةٍ سألت الدكتور حسن عن الأصدقاء فقال لي إن أبو البراء كان يؤم ثلاثة مجاهدين في الصلاة فسقطت قذيفةٌ بجانبهم وقتلت اثنين من زملائه، ونجا هو والرابع. وبعد عدة أيام أرسل لي صورة العقيد وراء قاذف التاو، مع الكلمات التالية: «أبو البراء شهيداً بإذن الله».

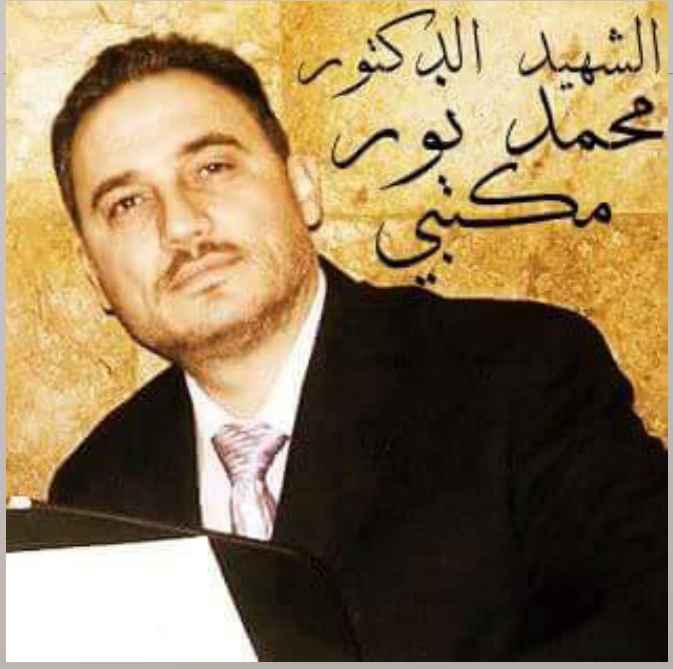

الدكتور نور مكتبي...
نجمٌ أفل مبكّراً من سماء حلب

محمد سرحيل

سيرته الذاتية:

محمد نور مكتبي من مواليد 1965. حاصلٌ على البكالوريوس في الطب البشريّ من جامعة حلب (اختصاص داخلية وصدرية)، وعلى إجازةٍ في الشريعة من جامعة دمشق. متزوجٌ من د. ميسون سارة (اختصاصية أطفال)، ولديه خمسة أولاد.

عِلْمُهُ وعَمَلُهُ:

كان متفوّقاً في دراسته، متواضعاً متفانياً في عمله. دَرَس في كلية الشريعة، بعد ممارسته مهنة الطب، بهدف إنشاء جيل مسلم يُخْرِجُ المسلمين من التخلّف والوَهن الذي أصابهم، كما كان يقول لزوجته. كان يقضي معظم وقته خارج المنزل، بين التدريس الشرعيّ، متطوّعاً في الثانوية الشرعية للبنين وتدريس «التربية الإسلامية» في ثانوية المأمون، وبين عيادته قبلةِ الفُقراء من المرضى، لما عُرف عنه من عدم تقاضيه (الكشفيّة) منهم، بل كان يصرف الأدوية لبعضهم على حسابه، ويرسلهم أحياناً إلى عيادة زوجته ويتصل بها قائلاً: «هؤلاء من معارفي»، ما يعني أنّ عليها معالجتهم مجاناً أو مراعاة وضعهم!

نشاطه الثوريّ:

كانت البداية بتنسيق المظاهرات، ومن أشهرها مظاهرة باب الحديد التي كان أحد منظميها والمشاركين فيها. ويروي الشيخ عمار طاووز، وهو أحد المقرّبين منه: «كان من أشجع المتظاهرين والمُسعفين. كنّا نعجز عن إسعاف بعض مصابي المظاهرات فكان يحملهم بسيارته ويعالجهم في بيوتٍ خاصةٍ جُهّزت لهذا الغرض».

ويروي لنا محمد شبيب، أحد طلابه في الثانوية الشرعية: «التقيته مرّةً في منطقة الجميلية بالصدفة، وبعد السلام سألني: «عم تطلع مظاهرات؟». كان سؤاله مفاجئاً؛ إذ لا تربطني به علاقةٌ خاصة. أجبته مرتبكاً: «إن شاء الله»، فردّ عليّ: «إذا لم يقف طلاب العلم مع المظلومين فمن لهم؟»».

قبل اعتقاله بأيّام حضر اجتماعاً في منزل عبد القادر قصير (طالب علم مصابٌ بالشلل، ذاع صيته بعد اعتقاله في مظاهرة باب الحديد) دعا فيه إلى تشكيل كيانٍ سياسيٍّ داخل المدينة، يوجّه العسكر في حال دخولها.

تأسيس المستشفيات الميدانية:

تروي زوجته في حديثٍ خاصٍّ لمجلتنا: «كان يوم الجمعة مقدساً ومخصّصاً للعائلة، ومع انطلاق الثورة لم يعد كذلك. إلا أننا -بعد مدّةٍ- صرنا نخرج برحلاتٍ إلى الأرياف وإدلب وحمص. لم أكن على علم بأهداف هذه الزيارات بدايةً، حتى اتضح لي أن ذهابنا معه كان للتمويه فقط!». فقد أسّس العديد من المشافي الميدانية في المدن والبلدات، وأسهم في نقل الأدوية من حلب -الهادئة آنذاك- إلى حمص وغيرها. وكان للجيش الحرّ نصيبٌ من زياراته الدّعويّة التوجيهيّة، خصوصاً في أرياف حلب وإدلب.

سلسلة اعتقالات:

كان أول اعتقالٍ له في شباط 2012، في مظاهرةٍ أمام جامع آمنة، من قبل الشبيحة. بقي معتقلاً 12 ساعةً فقط، خرج بعدها مصاباً بارتجاج في عينيه (عمى الألوان) وكدماتٍ في الوجه. بعد شهرين اعتُقل مجدّداً من أمام منزله، ومكث 15 يوماً في أمن الدولة، تعرّف خلالها على ثوارٍ جدد!

قبل أيام من دخول الجيش الحرّ مدينة حلب تلقّى عدة تحذيرات، أحدها من زملائه في نقابة الأطباء، بأنه مطلوبٌ وأن خروجه من المدينة بات ضرورياً وملحّاً؛ وهو ما كان يرفضه ويعتبره خذلاناً لحلب!

لم يعد ينام في منزله في هذه الأثناء، لكنه لم ينقطع عن عيادته في حيّ سيف الدولة. وبعد ضغوطٍ من زوجته وأصدقائه عزم على المغادرة باتّجاه ريف حلب الشماليّ المحرّر. وقبل ذلك توجّه لزيارة مفتي حلب، الشيخ محمود عكّام، الذي كانت تربطه به معرفةٌ قديمةٌ وعلاقةٌ جيدة، لاستشارته في الأمر. اتصل العكّام بالعميد أديب سلامة، رئيس فرع المخابرات الجوية بحلب، وتوسّط للمكتبي. وبناءً على ذلك طلب منه البقاء في المدينة، وطمأنه: «وضعك جيّد ولن يصيبك مكروه».

عاد إلى منزله لينام مع عائلته بعد غياب، ولم يكن يعلم أنها ليلة الوداع. ففي مساء اليوم التالي 2012/6/18 اقتحمت دوريةٌ العيادة واعتقلته، لتبدأ رحلة البحث عنه في الفروع الأمنية!

ظروف استشهاده:

بعد عشرة أيام علمت عائلته بوجوده في فرع المخابرات الجويّة، ثم نُقل إلى المشفى العسكريّ بسبب تردّي وضعه الصحيّ وكسورٍ في قدميه نتيجة التعذيب. مضت 5 أشهر تلقّت عائلته خلالها عشرات الوعود بفك أسره. وبتاريخ 2012/11/14 تلقت العائلة خبراً من أحد طلابه يقول إنه رأى جثّته في المشفى الجامعيّ تحمل اسم «مكتبي». توجّه بعض أقاربه ومعارفه للتعرف إليها فلم يتمكّنوا بسبب التشوّهات، فضلاً عن نحولها الشديد.

ولكن حضور طبيب الأسنان، صديق الشهيد، كان الفيصل. نعم، الجثة له. عرفه من رباعية أسنانه الصناعية التي ركّبها له بيده.

صبحيّة حلبيّة بطعم الحصار

من الصبحية - خاص

ياسمين محمد

لحلب، بحاراتها وأزقتها وطباع أهلها وعاداتهم، خصوصيةٌ مليئةٌ بالحكايا والأساطير والنميمة والذاكرة، جسّدتها الكثير من المونولوجات الطريفة والقصص والأمثال والكتب والمسلسلات التي توقفت طويلاً عند هذه التفاصيل التي أضفت على المدينة العريقة نكهةً معشّقةً بحب الحياة والموسيقا والطعام أيضاً.

لا تبتدئ «الصبحية» عند نسوة المدينة وفق المعنى الحرفيّ للكلمة (الصباح الباكر)، بل تتجاوز ذلك الوقت في أغلب الأحيان حتى ساعات الظهيرة. فهي، على حدّ قولهنّ، «فنٌّ لا يتقنه الرجال ولا الموظفات». ترتدي النساء أجمل ثيابهنّ ويتجهنّ إلى بيت إحداهنّ «دورية، كلّ مرّة عند وحدة»، يتباهين بحليهنّ وثيابهنّ ويرتشفن القهوة مع كمٍّ كبيرٍ من الضحك والنميمة والغناء والأهازيج التي يتخللها الرقص والزغاريد وجلسات «فتح الفنجان» وتبادل الأخبار، وحتى البحث عن عرائس لأبنائهنّ.

لم تغب هذه الظاهرة عن المجتمع الحلبي رغم الظروف القاسية التي يعيشها في ظلّ الحصار. وفشل الألم -مرّةً أخرى- في تدمير ضحكات نساء حلب القادرات دوماً على استحضار طقوسهنّ في كلّ الظروف.

في حيّ الزبدية، في القسم الشرقيّ المحاصر من حلب، وأثناء قصف الطائرات وتدمير البيوت، سعت بعض نساء المدينة -بعد اتفاقهنّ على الواتس آب، الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامهنّ- لإقامة صبحيةٍ على الطريقة الحلبية القديمة، هرباً من الموت وطمعاً في الفرح.

تحكي لنا السيدة مرح: «اتفقنا على أن نعمل صبحية. وقدّمت لنا السيدة ثورة، صاحبة نادي الأطفال في الحيّ، المكان لإحياء هذا الطقس». وأكملت: «دعونا صديقاتنا إلى الصبحية. قسمٌ كبيرٌ منهنّ لم يستطع الحضور نتيجة الضرب المتواصل، وبعضهنّ استطعن الحضور. كنا نريد أن نغير جوّ ونخرج من حالة الضغط التي نعيشها مع أطفالنا».

السيدة ثورة مديرة النادي أمٌّ لشهيد، وتعمل كمدرّسةٍ في النادي وتدرّب النساء في دورات التمريض وحملات التوعية النفسية. قالت: «كنت في حالةٍ نفسيةٍ صعبة. كلنا كنا كذلك، بعضنا كنّ مكتئباتٍ من ظروف الحصار وضيق العيش، وأطفالنا يعيشون حالةً من التوتر. اقترحت بعض النساء هذه الصبحية للتخفيف عني وعن أنفسهنّ، كانت الفكرة جميلةً وكنت أرغب في مساعدتهنّ».

أحضرت النساء ما استطعن إحضاره من بيوتهنّ. وعن مائدة الفطور حكت لنا الطفلة سيدرا التي قامت بتجهيزه، تاركةً لأمها ورفيقاتها مهمة النميمة وتبادل الأحاديث: «ما عنّا عدّة فطور كاملة بسبب الحصار. بس نحنا جبنا علب الفول من المعونات وفرمنالا بصلة صغيرة وصارت أطيب من الجاهز، وحمّص مطحون من المعونة كمان، وعملنا شاي على الحطب».

بعد الفطور بدأت جلسة الغناء وتبادل النكات والقصص عن العائلات والذاكرة على «نفس أرجيلة». قالت السيدة سعاد، التي كانت تعدّ النارجيلة، إنها صنعت المعسّل من أوراق الشاي المغليّ بعد إضافة ملعقةٍ من المربى إليه، لتقاطعها إحداهنّ: «ما طلع للوحدة غير سحبتين!».

عند الحديث مع النساء عن سبب قدومهنّ، وعن كيفية كسرهنّ الحصار، وعن صناعة أطباق الطعام من المواد المتوافرة في ظلّ غياب معظم المواد الأساسية؛ قالت فاطمة، إحدى اللواتي شاركن في الصبحية: «جينا لهون لنغيّر جوّ، لنفكّ عن حالنا جوّ الحصار ونجتمع مع رفقاتنا. هي مي أوّل مرة، ساوينا قبل أكتر من صبحية، بس هي الصبحية الأولى بعد ما تحاصرت حلب». وأكملت: «عملت كبة نية وجبتا معي. طوّلت معي شي ساعة. كان عنّا فليفلة مخبأة من قبل الحصار».

أما السيدة سعاد فقالت: «جيت على الصبحية ومعي «كباب داريا». نقعت العدس والبرغل قبل نهار ودرتون على الماكينة وقليتون على صوبة الحطب. السيدة ثورة عطتنا العدس، ما كان عندي. أنا لحالي عملتون، دعبلتا وسيّختا وقليتا». وعن صعوبة الوصول إلى المكان أكملت السيدة سعاد: «تأخرت لبعد ما ساويت الكباب. ما في غاز ولا كهربا ولا سيارات. جيت مشي».

امتدت الصبحية من الثانية عشر صباحاً وحتى الخامسة مساءً. لم يدر حديثنا عن الحصار أو وضع الحرب. تذكرنا كل النكات القديمة والأحاديث الماضية.

عبّرت السيدة ثورة عن فرحها بالصبحية رغم الدمار والموت المحيط. وحين ودعتنا قالت: «لا زلنا صامدين، وسوف نبقى هنا. لن يستطيع أحدٌ كسر حياتنا وإرادتنا في الحياة».

طرق التدفئة في الأراضي المحرّرة

مريم أحمد

أبو أحمد نازحٌ من ريف حماة الشماليّ إلى ريف إدلب. منذ عشرة أيام يحاول أن يصل، مع أسرته المكوّنة من خمسة أطفال وزوجته، إلى اتفاق على نوع التدفئة التي سيستخدمونها في خيمتهم مع قدوم الشتاء. كل يوم، عند هبوط المساء واشتداد البرد، تجلس أم أحمد مع زوجها، وهي تضع ما لديها من أغطية فوق أولادها لتمنحهم شيئاً من الدفء، يقلّبان في الخيارات الممكنة حتى يغلبهما النعاس.

خاص عين المدينة

أجبرت برودة الشتاء غالبية سكان المناطق المحرّرة في الشمال السوريّ على إيجاد بدائل تناسب واقعهم الأليم. ولجأت كثيرٌ من العائلات إلى تأمين الدفء بوسائل بدائية أو تقليدية غالباً ما تكون ضارةً بالصحة، كتحويل مدفأة المازوت إلى الحطب، أو استخدام مدافئ تعمل على الكاز، وأخرى تعمل على الديزل المكرّر بطرق بدائية.

مدفأة المازوت للميسورين فقط

يقول عماد، أحد سكان سهل الروج الغربيّ بجسر الشغور: «ملكٌ من عنده مدفأة مازوت في هذا الشتاء، فقد تجاوز سعر برميل المكرّر 70 ألف ليرة، والنظامي 100 ألف. يرتفع سعر المازوت ويهبط تبعاً للمعارك شمال حلب».

ارتفعت أسعار المازوت، سواء القادم من شرق سوريا، والذي تتصف برداءة نوعه، أو المهرّب من مناطق النظام. إذ تخطى سعر برميل المكرّر 120 دولاراً، وبرميل النظاميّ 180 دولاراً. ومن المعروف أن المدفأة الواحدة تحتاج برميلاً في الشهر. ووصل سعر المدفأة التي تعمل على المازوت إلى 110 دولارات لبعض الأنواع الجيدة. تتجاوز هذه الأسعار قدرة غالبية السوريين، الذين لا يتجاوز دخلهم الشهريّ معدّل 60 دولاراً، مما جعل من استخدام مدفأة المازوت حكراً على الأغنياء.

مدفأة الحطب تخفف التكاليف

صارت غالبية الناس تعتمد في التدفئة على الحطب، الذي ارتفع سعره ليصل الطن إلى 65 ألف ليرة (120 دولاراً). ولكن طن الحطب يكفي لمدةٍ أطول من برميل المازوت. ولحل مشكلة غلاء مدفأة الحطب، التي يصل سعر بعض أنواعها إلى 200 دولار للمدافئ التركية، يعمد غالبية الأهالي إلى تحويل مدفأة المازوت القديمة إلى مدفأة تعمل على الحطب بإدخال بعض التعديلات عليها في محلاتٍ مخصّصة لذلك.

أبو محمود، من بلدة كفرنبودة، يعمل في إصلاح المدافئ وتحويلها، قال لنا: «نفرغ جوف المدفأة من بعض المعادن التي تعيق وضع الحطب، كما نصنع لها درجاً صغيراً يوضع مكان فتحة التهوية، وظيفته استيعاب رماد الحطب المحترق (الصفية)».

أصبح من المألوف أن تشاهد الناس تبحث بين القمامة عن قطع الخشب الصغيرة، أو تراهم على أطراف القرى يحملون أكياساً على دراجاتٍ ناريةٍ أو هوائية، وقد جمعوا فيها الأعواد وأغصان الأشجار أو مواد بلاستيكية يمكن أن تحرق.

مدفأة الكاز سعرها أرخص لكن ضررها أكبر

من البدائل الأخرى مدفأة الكاز، وسعرها أقل من مدفأة الحطب. وهي عدة أنواع، بعضها محليّ الصنع لا يتجاوز سعرها الـ13 دولاراً، ومنها المستورد من الهند أو الصين ويتراوح سعرها بين 20 و40 دولاراً للنوع الجيد. لا تستهلك هذه المدافئ الكثير من الوقود، لكن تدفئتها تبقى قليلةً أيضاً، ولها الكثير من المضارّ، خاصّةً وأن الكاز المستخدم من الأنواع الرديئة المكرّرة يدوياً. ويحرق هذا النوع الأوكسجين في الغرف المغلقة مما يزيد من احتمال الاختناق، بالإضافة إلى الروائح التي تؤثر كثيراً على جهاز التنفس -خاصّةً لدى الأطفال- وتزيد احتمال الإصابة بالربو وضيق التنفس والحرقة في العيون. تعتمد غالبية الناس على بابور الكاز في الطهيّ، وهو أداةٌ قديمةٌ جداً عادت صناعتها إلى الازدهار بعد غلاء الغاز. وتستخدم بعض العوائل -التي لا تستطيع شراء المدفأة- البابور في التدفئة والطبخ معاً.

مدافئ آلية

انتشرت، في المناطق التي يُزرع فيها الفستق الحلبيّ، مدافئ تعمل على قشر الفستق. وقد عرضنا لها في العدد 64 من «عين المدينة». تتسم هذه المدافئ بغلاء سعرها، لأنها تحتاج إلى محرّكٍ كهربائيٍّ يعمل على البطارية يقوم بدفع القشور بشكلٍ آليّ، فيتراوح سعرها ما بين 100 و300 دولار. ووصل سعر طن قشر الفستق إلى 160 دولاراً هذا العام.

المحامي أحمد بكري، من أهالي بلدة التمانعة في ريف إدلب الجنوبيّ، قال للمجلة: «لم تكن للقشور أي قيمة. ومع انتشار هذا النوع من المدافئ أصبح القشر يباع، وارتفع سعر الطن كثيراً بسبب ارتفاع أسعار المازوت والحطب».

تبقى مدفأة الكاز هي الشائعة في المخيمات، لرخص ثمنها وقلة مصروفها، رغم المضار الكثيرة التي قد تنجم عن استخدامها، لذلك استقر أبو أحمد على شراء مدفأة كاز. لكن ما أن انتهت حيرته في نوع التدفئة حتى وقع في حيرةٍ أخرى هي كيف سيؤمّن ثمن المدفأة.

مخيّمات الجنوب:
معاناةٌ أكبر مع قدوم الشتاء

محمد شباط

مخيم بريقة في القنيطرة - خاص

تزداد معاناة أهالي الجنوب السوريّ مع كلّ شتاء، يعيشها الناس هنا وكلهم أملٌ بانتهاء الحرب والعودة إلى دفء الحياة من جديد. وتتضاعف مشقة هذا الفصل البارد على نازحي المخيمات المنتشرة على بقاع محافظتي درعا والقنيطرة.

محمد هزاع (أبو حسين) مسؤول مخيم بريقة وأحد الفارّين من بطش قوات النظام وقصف طيرانه الذي دمّر البشر والحجر في بلدته ممتنة، يصف لـ«عين المدينة» المعاناة التي يعيشونها في المخيم، والتي تزداد صعوبةً يوماً بعد يوم: «الوضع مأساوي جداً...»، بهذه الكلمات يبدأ أبو حسين كلامه واصفاً مرارة العيش التي حلت بهم في مسكنهم الجديد. ويبيّن: «يحوي مخيم بريقة أكثر من 256 عائلة، معظمهم من سكان قرى مثلث الموت (سلطانة؛ دير ماكر؛ الهبارية؛ ممتنة)، بالإضافة إلى ما يقارب الثلاثين عائلةً من أبناء الغوطة الشرقية. مضى على تأسيس المخيم ما يقارب السنتين وأحد عشر شهراً، تخللها الجوع والمرض والبرد. يأتي هذا الشتاء الثالث على أهالي مخيم بريقة والوضع فيه يزداد سوءاً يوماً بعد يوم في ظل غياب المنظمات والجمعيات الخيرية إلا القليل منها، وفي ظل قطع الأشجار التي كانت تحيط بالخيام والتي استهلكت للتدفئة خلال السنوات الماضية. كما لا توجد عند عوائل هذا المخيم الإمكانية لشراء المازوت أو أيّ مادةٍ للتدفئة، لأن أغلب القاطنين هنا لا يملكون حتى ثمن رغيف الخبز».

يكمل أبو حسين: «نحن، كرجال، نقوى على تحمل برودة هذا الطقس. ولكن المخيم يضم أكثر من 2000 طفل وطفلة والعديد من الكهول الذين لا يقوون على تحمل قسوة الشتاء في ظلّ قطع القماش التي يحتمون تحتها. نناشد جميع المنظمات والجمعيات الخيرية العاملة في الجنوب السوريّ النظر في حال سكان المخيم وتأمين أيّ شيءٍ يخفف عنهم برودة هذا الفصل».

الحال نفسه في مخيم الأمل الذي يقع في محافظة القنيطرة أيضاً. خيامٌ تواجه وحدها تلك الرياح العاصفة، تؤوي أناساً شرّدتهم الحرب ليعيشوا على أمل العودة. أم خالد مهجّرةٌ من بيتها في قرية حمرية، تسكن وأولادها إحدى هذه الخيم التي تشققت من تقلبات مناخ القنيطرة، تصف حالتها لـ«عين المدينة»: «أشعر بالحزن الشديد عندما أرى أطفالي يتألمون من شدة البرد، ولكن ليست لدي القدرة لأفعل لهم أيّ شيء. عند شروق الشمس نذهب، أنا وأبنائي، إلى مكبات الزبالة ونبحث عن قطع البلاستيك لنوقدها ليلاً ونحتمي بحرارتها من هذا البرد القارس. ننتظر الفرج القريب والعودة السريعة إلى بلدتنا وبيتنا».

وفي مخيم تل السمن، الذي يقع إلى الشمال الغربيّ من محافظة درعا، يسكن ما يقارب 300 عائلةٍ (حوالي 1800 نسمة) ضمن منطقةٍ زراعيةٍ قاحلة. وبالإضافة إلى ما يعانونه من نقص حادٍّ في المستلزمات الطبية، وبقاء معظم أبنائهم دون دراسة، يأتي عليهم فصل الشتاء هذا بقسوةٍ أكبر من أيّ وقتٍ مضى. «أصبحت هذه الخيم قديمةً ومهترئة، لا تمنع البرد والمطر، ما تسبّب بالعديد من الأمراض، وخاصّةً للأطفال ولكبار السنّ. وبالإضافة إلى ذلك أصبحت جميع الطرق والممرّات موحلةً جداً، ومن الصعب المشي فيها. قدمت بعض الجمعيات كميةً من مادة التفل (مخلفات الزيتون) للتدفئة، بلغت ثلاثة أكياس لكل خيمة، ولكنها غير كافية»؛ هذا ما أكده لنا أحمد الفضلي، أحد سكان مخيم تل السمن.

وفي ظل هذه المعاناة يبرز دور المنظمات والجمعيات الخيرية لمساعدة قاطني تلك المخيمات. وقد بادرت جمعية إيلاف الخيرية إلى توزيع عددٍ من أكياس التفل، ويقول أبو أحمد المصري، مدير الجمعية، لـ«عين المدينة»: «تتضافر الجهود مع قدوم فصل الشتاء من أجل التخفيف من معاناة النازحين والمهجرين من هذا البرد القارس. وقد قمنا بتوزيع مادة التفل على العديد من القرى والمخيمات، بالإضافة إلى توزيع ملابس شتويةٍ للأطفال على أكثر من 200 عائلةٍ فقيرة، انطلاقاً من سعي الجمعية الحثيث ودعمها الإنسانيّ المستمرّ».

تضم محافظتا درعا والقنيطرة عدّة مخيماتٍ ينتشر أغلبها على الساتر الحدوديّ مع الجولان المحتل ومع المملكة الأردنية. يعاني معظم سكانها من فقرٍ شديد، وتمرّ أيام الشتاء باردةً وقاسيةً على قلوبهم وأجسادهم الضعيفة التي أنهكتها الحرب.

أبو حسين هزاع

الإعاقات

فراس علاوي

خلال السنوات الفائتة لم يدّخر نظام الأسد جهداً لإلحاق أكبر قدر من الأذى بالسوريين، فلم توفر آلة حربه وسيلةً إلا واستعملتها، مما أوقع مئات الآلاف من الشهداء وأعداداً لا تحصى من الجرحى.

لا تتوافر بياناتٌ عن أعداد الإصابات وتوزعها الجغرافي، ولكن يمكن فرزها إلى ما يلي:

1ـ**إصابات طفيفة**: تتراوح بين الكدمات البسيطة والجروح الخفيفة. ولا تتطلب أيّ خبراتٍ طبية، ويمكن علاجها في المنزل، وليس من الضروري تسجيلها.

2ـ**إصابات متوسطة**: تتراوح بين الجروح العميقة إلى الكسور المفتوحة. وتتطلب نقل المصاب إلى مشفى، وأحياناً عملاً جراحياً. تحتاج إلى عنايةٍ طبيةٍ مدرّبةٍ ومتابعةٍ قد تمتدّ إلى عدة أشهر. ويعود المصاب بعد علاجه إلى حالته الطبيعية غالباً، وقد تترك آثاراً دائمةً كالعرج البسيط أو نقص السمع الجزئيّ. وتتوزع بين مناطق الاشتباكات ومناطق قصف الطيران والمدفعية.

3ـ**إصابات شديدة**: وهي الجزء الأخطر من الإصابات. وتتراوح بين إصاباتٍ تؤدي إلى غيبوبةٍ طويلة، كما في إصابات الرأس، أو شلل تامٍّ أو جزئيّ، كما في إصابات الرأس أو العمود الفقريّ. وهنا تبرز المعاناة الحقيقية للمصابين. فالإعاقات، سواءً أكانت كاملة أم جزئية، تشكل تحدياً حقيقياً للمصابين وذويهم وقدرتهم على تقبل هذه الإعاقات والتعايش معها.

لم تفرّق الإعاقات بين عمرٍ وجنس، كما لم تميّز بينهم القذائف. وتقسم إلى عدّة أقسام، أبرزها الإعاقة الناتجة عن فقدان طرفٍ أو أكثر. ويقترب عدد من فقدوا أحد أطرافهم، حسب بعض التقديرات الطبية، من 200 ألف مصاب. ومعظم هؤلاء لم تقدم له عنايةٌ طبيةٌ أو نفسيةٌ لاحقة، لتعذر ذلك في مساحة التوزع والانتشار الكبيرة لهم داخل سورية وخارجها. يحتاج المصاب بهذه الإعاقة إلى معالجةٍ جسديةٍ وأخرى نفسيةٍ تخرجه من حالة التوتر واليأس التي يعيشها لفقدانه جزءاً من جسده.

ورغم المحاولات التي تقوم بها جمعياتٌ وناشطون في الحقل الطبيّ والدعم النفسيّ، إلا أنها تظل في نطاقٍ محدودٍ ومتقطعٍ في غالب الحالات. يروي أبو عبد الرحمن، وهو مقاتلٌ سابقٌ في صفوف الجيش الحرّ، قصة إصابته على جبهة مطار دير الزور، وفقدانه ساقه جراء الإصابة، والآلام النفسية التي قاساها في الأيام والأسابيع الأولى بعد ذلك إلى أن تكيّف مع وضعه الجديد. يتذكر طفلاً فقد يده ويقول مسروراً إنها سبقته إلى الجنة. يعاني أبو عبد الرحمن اليوم، مثل كثيرين ممن فقدوا أطرافاً، من صعوبة الحصول على طرفٍ صناعيٍّ بديل، رغم زياراته الكثيرة لعددٍ من المنظمات والهيئات المختصة، كانت أعذارها واحدةً تقريباً.

يضيف أبو عبد الرحمن: «عندما التحقت بالجيش الحرّ كنت أعلم أنني ربما استشهد في أيّ اشتباك، لكن لم يخطر في بالي أن أعيش بهذه الحالة. لكن الحمد لله على ما كتب لنا». بهذا الإيمان يجابه أبو عبد الرحمن، وكثيرون مثله، إعاقتهم، لكنهم يتطلعون إلى حياةٍ أفضل تعيد لهم الأمل بأن يكونوا أسوياء.

وعند فقدان إحدى العينين تظل الإعاقة مقبولة، وإن كانت الخسارة كبرى بالنسبة إلى من فقدها، لكن الأمر يبقى أفضل من فقد نعمة البصر بالكامل.

وهناك نوعٌ من الإعاقات لا يظهر على الجسد لكنه من أخطر أنواع الإعاقات، وهو الأمراض النفسية التي أصابت الكثير من الناس جرّاء الحالات التي تعرّضوا لها. وتتراوح هذه الإعاقات بين الاكتئاب الدائم، خاصّةً عند من فقدوا أعزاء عليهم، كالأم التي فقدت واحداً أو أكثر من أولادها، أو من شاهد عائلته بأكملها تدفن تحت أنقاض بيته نتيجة برميلٍ متفجرٍ ألقته إحدى طائرات النظام.

الشريحة الأكبر التي تعاني هذا الاضطراب -أو الإعاقات الذهنية إن صح التعبير- هم الأطفال. وقد تنوّعت معاناتهم نتيجة أصوات القصف المستمرّ وأصوات الطائرات ومشاهدة الدمار الشامل لبيوتهم ورؤيتهم مشاهد الموت المتكررة. وتختلف حالاتهم بين العزلة التي تصل إلى درجة التوحد، إذ يصبح الطفل انطوائياً لا يختلط بأقرانه ولا يلعب معهم ويخاف من أيّ صوتٍ مرتفع يظنه صوت طائرةٍ أو قصف، ولذلك تراه يهرع إلى داخل المنزل فور سماعه مثل هذه الأصوات. وهناك حالات الخوف الليليّ والتبول اللاإراديّ، وهي ناتجةٌ عن الهلع الذي عاناه هؤلاء الأطفال من أصوات القصف والقذائف والطائرات، فيعيشون كوابيس مزعجةً تغزو نومهم، ويصابون بنوعٍ من التوتر يجعلهم عدوانيين وانعزاليين.

ربما لا ننتبه إلى هذه الأمراض الآن بسبب تزاحم الأحداث، لكنها تشكل أحد التحديات المهمة لبناء سوريا المستقبل. فالمجتمع الذي يكون أفراده مرضى يبقى مريضاً، وعلى العكس فالمجتمع السليم هو من كان أفراده أصحاء جسدياً ونفسياً.

الموصل، بوصفها «دابق» الفعلية

علي خطاب

منذ تصريح البغدادي لصحيفة النبأ، التي يصدرها تنظيم الدولة الإسلامية، بأنه «ليست هذه معركة دابق الكبرى التي ننتظرها»، لتبرير الانسحاب من دابق بريف حلب وأراضٍ أخرى، والأنظار تتجه إلى حقبة تاريخية ينتظرها التنظيم غير التي تمرّ بالمنطقة، لكن الوقائع والأحداث تشير إلى مكانٍ جغرافيٍ مختلفٍ فقط، وهو الموصل.

Bulent Kilic - AFP

جادل كثيرون، اعتماداً على التسريبات والمعلومات الزهيدة، بأن التنظيم العراقيّ، بقياداته وهيكليته، كان قد «احتل» أراض سورية في فترة توسعه، لكن عراقيين يرفضون ذلك، وينسبون التنظيم بشكله الجديد إلى السوريين، على أن قادة التنظيم ظلوا ينفون أي انتماء لغير «الدولة الإسلامية» التي لا تعترف بالجنسيات والتقسيمات السياسية. ورغم أن المقاتلين السوريين أعطوا التنظيم، بالإضافة إلى الموارد التي يسيطرون عليها، زخماً كبيراً، منذ 2013، وأناساً مستعدين لتلقي الأوامر نظراً لغياب أهداف واضحة عن تشكيلاتهم، فضلاً عن الاستراتيجية والهيكلية الصارمة؛ إلا أن تنظيم الدولة ظل عراقياً، وقد ضاعفت ذلك، وأخرجته إلى العلن، معركة الموصل الجارية.

ففي مرحلة التجهيز للمعركة تداول إعلاميو التنظيم ومناصروه على مواقع التواصل الاجتماعيّ أن «ما حصل سابقاً لم يكن سوى مقدمة لأشرس معركة منذ زمن»، وذلك رغم الخسائر الضخمة التي تكبدها التنظيم في معاركه السابقة، خاصة في عين العرب/كوباني وجنوب الحسكة. ثم أتى «بحث» عبد الله القيسي -أحد مشاهير التنظيم إعلامياً- والذي تناقلته «الحسابات المناصرة»، ليتكلم عن الأمر صراحة، فيعيد عداء السلفية الكلاسيكية للتنظيم إلى «عداء خفيٍّ بين عرب الشمال -الهلال الخصيب- ووادي النيل، وعرب الجنوب في الجزيرة العربية» و«احتقار اجتماعيٍّ وراء استمرار فوبيا من العراق»، ليختم بحثه بأن بداية النهاية قد حانت «حين انتصب رمح الله العراقيّ مواجهاً قرن الشيطان النجديّ»، في إشارة إلى دولة التنظيم والدولة السعودية. ثم ليأتي إصدار «القلعة العصياء، الموصل» من المكتب الإعلاميّ لـ«ولاية الخير» (دير الزور)، ليؤكد أن الموصل ليست كباقي المناطق التي حارب عليها التنظيم.

ورغم بعض إعلاميي التنظيم، الذين صاروا يحاولون بعد بدء المعركة، التقليل من شأن الموصل بالنسبة إلى «الدولة»، عن طريق الدعاية «للعمليات الانغماسية والاستشهادية المتجددة بشكل مستمرٍّ في أنحاء الولايات»، إلا أن كلمة البغداديّ الأخيرة كانت حاسمة في هذا الموضوع، إذ إنها نسفت الاستراتيجية التي رسمها العدناني حين صرّح «لا نجاهد لحماية الأرض»، في كلمته منتصف السنة الجارية «ليحيى من حيّ عن بيّنة». وقد علق وقتها إعلاميو التنظيم ومناصروه عليها بأن «الدولة حريصة على أرواح العناصر، وليس على الأرض التي لا تعني لها شيئاً». لكن خطاب البغدادي، الذي تزامن مع بداية معركة الموصل (معركة الأحزاب)، والذي لا يمكن التعليق عليه إلا بأنه حضٌ على أو تمهيدٌ لانتحار جماعيٍّ مقابل الحفاظ على المدينة لخلاص جماعته، يقول «أورثكم الله هذه الأرض المباركة، وحملكم أمانة الدفاع عنها. فاحذروا أن يستزلكم الشيطان بانحياز عن أرض، أو انسحاب من ثغر». فتكتيك «الانحياز»، الذي لطالما اتبعه التنظيم في المناطق التي حارب فيها، سيكون في معركة الموصل من عمل الشيطان، بحسب البغدادي، رغم أنه التكتيك الذي دعا إليه العدناني، ودافع به إعلاميو التنظيم عن خسارته الأراضي التي كان يسيطر عليها، وعلى رأسها دابق.

وقد ترجم هذا إصدار «وعد الله» الذي أصدره المكتب الإعلاميّ لـ«ولاية نينوى» منذ أيام، حين يخلع الأهمية الرمزية على الموصل بعد أن سحبها من دابق. إذ «أوشك العدو على الانهيار الكبير» كما يقول المعلق في الإصدار، وقد اجتمعت «الأحزاب لاستئصال شأفة الدين». وفيه يعترف -أو يروّج لأول مرّة- بمشاركة «الرعية» (المدنيين) في القتال إلى جانبه، ليقول إنها «حربٌ شاملةٌ فاصلة» على أسوار «إمبراطورية الموصل» كما يروّج إعلاميو التنظيم، الذين يعملون بكل طاقتهم لمواكبة أحداثها، وتفصيل وقائعها، والنشر المستمرّ لأصغرّ نتائجها. فبحسب هؤلاء فإن «خير أهل الأرض قتلوا في ولاية نينوى».

لأن الموصل أكبر حاضرة يسيطر عليها التنظيم، يزداد احتمال سقوطه أو تشرذمه بسقوطها، وخسارة البقية الباقية من هالته التي تبدو باهتة اليوم. وهو يستنهض كل إمكانياته لمنع ذلك، في تناغم مع عناصره الذين يبدون كأنهم يدافعون عن وجودهم ذاته بالدفاع عن المدينة. على أنه سبق كل هذا ما سعى الإعلام الرسميّ والمناصر للتنظيم إلى القيام به في الفترة الأخيرة، من رسم صورة نهائية لدولته الحالية، وتقديمها للعلن كمادة يعتمد عليها المؤرخون والمتابعون. فقد شرح آلية عمل التنظيم وهيكليته الإدارية، وجمع إصداراته ونشراته ودورياته وملصقاته ومراجعه، في ما يشبه الأعمال الكاملة، أو سيرة ذاتية لكاتبٍ في خريف عمره.

الشيخ سرور زين العابدين والسلفية الحركية

عمر الباشا

حين انتشر تأثير السلفية في المناطق المحرّرة من سورية، في السنوات الأخيرة، جلب هذا المنهج معه مصطلحاته وتنابزه بتهم الانتماء إلى تياراتٍ داخليةٍ فيه. كانت هذه الاتهامات طارئةً على اللغة الإسلامية المحلية، وبدت بعض الأسماء والأوصاف تراثية، قبل أن يكتشف الجمهور حداثة بعض هذه التيارات، كـ«السرورية» التي تبيّن، فوق ذلك، أنها ترجع إلى رجل سوريٍّ توفي منذ أسابيع.

ولد محمد سرور بن نايف زين العابدين في قرية تسيل بمحافظة درعا عام 1938، في بيئةٍ «قبلية» كما يصفها، وفي أجواء نهوضٍ وطنيٍّ أتاحت له أن يكون من الأجيال الأولى التي تلقت تعليماً نظامياً في المنطقة. وفي المدرسة، التي تميّزت أيامها بالتظاهر والإضرابات ونشاط التيارات السياسية، مال اليافع إلى الإخوان المسلمين فانتمى إليهم في الخامسة عشرة. وكانت الجماعة تمتدّ إلى درعا عبر المدرّسين والدعاة الدمشقيين، مما ترك أثره في ملمح سلفيٍّ لأعضائها ميّزهم عن باقي إخوان سورية، بتأثير الشيخ الشهير ناصر الدين الألباني.

حين انتقل الشابّ إلى دمشق، لمتابعة دراسته في كلية الحقوق، صارت أيامه مستغرقةً بالنشاطات الدعوية والتنظيمية، وعاصر أيام ازدهار الإخوان وانكفاءين كبيرين لهم في سورية، أيام الوحدة مع مصر ثم بعد «ثورة» 8 آذار 1963، حتى دفعه التضييق على تحركاته إلى الخروج من البلاد عام 1965، دون عودة، إلى السعودية.

كانت المملكة وقتها ملجأ الإخوان في أيام «المحن»، ولا سيما المصريين والسوريين منهم. وكان يقطنها إخوانٌ من شتى البلاد، وتتردد إليها قيادات الإخوان من العالم العربيّ والإسلاميّ. وهناك وجد الشيخ سرور، القادم للتدريس في أحد المعاهد الشرعية العلمية التابعة للمفتي، مجالاً خصباً للنشاط. وبخلاف الكثير من الوافدين أعجب المدرّس الشابّ بنمط الحياة السعوديّ وقتها، لجهة بساطته وسيطرة المؤسسة الدينية على كثيرٍ من مفاصل الحياة فيه وصبغها بالطابع الإسلاميّ. وأيضاً بخلاف الكثير من لاجئي الإخوان انفتح الشيخ سرور على التأثر والتأثير في المجتمع حوله، فآمن بالمنهج السلفيّ من جهة، ولكنه صار يدعو إلى تفعيله باتجاهاتٍ حركيةٍ وسياسيةٍ من جهةٍ أخرى، تأثراً بما حمله معه من جماعة الإخوان التي أخذ يتباعد عنها تدريجياً إلى أن غادرها نهائياً.

خلال السنوات الثمانية التي قضاها الداعية النشط في السعودية، ومنها خمسٌ في القصيم معقل الدعوة السلفية، واثنتان في الأحساء حيث تعزّز موقفه الصلب تجاه الشيعة؛ بلور منهجه وصار ينشره بين أبناء الجاليات العربية وبين السعوديين، وهنا برز أمامه الخط الأحمر. إذ كان الاتفاق بين السلطات وبين قادة الإخوان الوافدين يقضي بمحافظة الأخيرين على تنظيماتهم بشكلٍ داخليٍّ دون محاولة التأثير في السعوديين، فأخرج الشيخ المتجاوز من البلاد عام 1973، ولكن بعد أن ترك أثراً داخلياً عميقاً في تيارٍ عريضٍ من أبناء المؤسسة الدينية فيها وغيرهم، لا يزال مستمراً حتى الآن.

في الكويت، ثم في بريطانيا فالأردن فقطر، تابع الرجل دعوته بنشاط، لقاءاتٌ فرديةٌ وجماعية، محاضرات، تنظيم التيار الذي صار ينسب إلى اسمه دون رضا منه، إصدار مجلة «السنة» الشهيرة والمؤثرة وقتها من لندن، وكتابة عددٍ من الكتب التي جمعت المنهج السلفيّ والمحتوى السياسي، وكان أشهرها «وجاء دور المجوس»، الذي أصدره في البداية باسم مستعار، محذراً من الخطر الإيرانيّ ومشتقاته. وقد لاقى الكتاب رواجاً هائلاً في أجواء الحرب العراقية الإيرانية بعد أن تبنته جهتان ليستا على وفاقٍ مع مؤلفه، هما السعودية الرسمية وعراق صدام حسين.

ينافح الشيخ سرور في فضاء السلفية ضدّ جهتين؛ الأولى هي السلفية التقليدية التي «تزيّن للحاكم كل أفعاله»، والثانية هي السلفية الجهادية التي تلجأ إلى العنف، مفضلاً سلفيةً حركيةً أو سياسية. كانت أعوام أوائل التسعينات زمن انفجار الصراع بين هذه التيارات الثلاثة، على وقع دخول القوّات الأمريكية إلى السعودية بهدف إخراج الجيش العراقي الذي احتل الكويت. عندها أبرزت السلفية العلمية التقليدية أكثر وجوهها فجاجةً في التبرير للحكم، عبر شيخين اشتهرا وقتها هما أمان الجامي (وتنسب إليه الجامية) وربيع المدخلي (وتنسب إليه المدخلية)، بينما أعلنت السلفية الجهادية من أفغانستان، على لسان أسامة بن لادن، سحب الاعتراف بحكم آل سعود وبدء عملياتها في «أرض الحجاز ونجد»، فيما أعلنت «السرورية» عن استنكارها لهذا التدخل دون أن تدعو إلى إجراءاتٍ عمليةٍ ضده. ولكن السلطات السعودية هي من اتخذ الإجراءات، بسجن حوالي 200 شيخ يتهمون بالانتماء إلى هذا التيار، بينهم دعاةٌ بارزون، وبصرف عددٍ أكبر من الخدمة. مما أورث شرخاً ما يزال مستمراً في البيئة السلفية السعودية ومؤسساتها الدينية.

السيد «نحرق البلد»

بكر صدقي

فاجأ الظهور الإعلاميّ لأشهر جزاري النظام، اللواء جميل الحسن، جميع متابعي الوضع السوريّ، في مقابلةٍ مع وكالة أنباء سبوتنيك الروسية، قبل أيام.

ففي العادة لا يظهر ضباط أجهزة المخابرات السورية على الملأ ليطلقوا تصريحاتٍ يعبرون فيها عن «آرائهم» بشأن أوضاع البلد. حتى حين كان اللواء الراحل محمد ناصيف يقوم بدورٍ دبلوماسيٍّ في العلاقة مع إيران، حين اخترع له منصب «معاون نائب رئيس الجمهورية»، كان يتجنب عموماً وسائل الإعلام.

وبصورةٍ أوسع، لا يظهر على وسائل الإعلام، في نظام الأسد، إلا عددٌ محدودٌ من رجاله: الرئيس ووزير الخارجية، أساساً، في حين يظهر رئيس الوزراء وعددٌ محدودٌ من الوزراء للتحدث عن الشؤون الخدمية التي يختصون بها. وقد يكلف رئيس مجلس الشعب، أحياناً، بإطلاق تصريحاتٍ حادةٍ ضد دولٍ أو قوى خارجية، حين لا يراد لتلك التصريحات أن تُحمل على محمل الجد، بل تستخدم كنوعٍ من الابتزاز الإعلاميّ، وهو ما ينطبق أيضاً على وزيري الدفاع والإعلام.

صحيحٌ أن النظام تغير كثيراً خلال السنوات الست الماضية، وتوزعت السلطة فيه على أمراء الحرب الذين أصبحوا حكاماً في إقطاعاتهم لهم مصالحهم المستقلة، فضلاً عن ارتهانه الكامل لروسيا وإيران وحزب الله، وما يعنيه كل ذلك من ضعف

رأس النظام في المعادلات الداخلية، لكن كل المؤشرات المتوافرة تشير إلى استمرار كونه القطب الوحيد الذي يتماسك حوله النظام ككل.

القصد أنه من الخطأ اعتبار مقابلة جميل الحسن نتيجة قرارٍ شخصيٍّ منه، على ما ذهب الباحث في «مؤسسة كارنيغي للسلام» أرون لوند في مقالته حول الموضوع. بل هو قرارٌ من النظام، ربما باقتراحٍ من اللوبي الإعلاميّ الذي يعمل في خدمته، أو باقتراحٍ من الحليف الروسي.

جاء مضمون المقابلة مدروساً بعنايةٍ يفتقد إليها رأس النظام والفريق الإعلاميّ «الظاهري» له. فكل من يقرأ المقابلة يلفت نظره، قبل أي شيء آخر، إعلان الحسن عن اختلافه المزعوم مع «القيادة السياسية» كما يسمون رأس النظام، في شأن سبل معالجة «الأزمة». فالحسن يرى أن بشار الأسد تعامل بمرونةٍ زائدةٍ مع حركة التمرد في بداياتها. ولو أنه فعل ما فعله حافظ الأسد في حماة سنة 1982، لما وصلت الأمور إلى ما هي عليه اليوم، على ما يقول رئيس شعبة المخابرات الجوية المسؤول عن قتل آلاف المعتقلين تحت التعذيب في فروعها المنتشرة في المدن السورية.

يعود الحسن بذاكرته إلى حماة 1982، التي شارك في حرب النظام عليها كضابطٍ صغيرٍ برتبة ملازم، مستلهماً تلك الجريمة المؤسّسة كنموذجٍ قابلٍ للتكرار، في رأيه، لمواجهة ثورة السوريين في 2011. وإذ تسأله سبوتنيك عما كان لحافظ الأسد أن يفعل لو كان على قيد الحياة في المواجهة الراهنة، يبحث الحسن عن مبرراتٍ لرئيسه بالقول إن بشاراً واجه ظروفاً أصعب بكثير مما واجه أبوه.

ذهبت بعض التفسيرات لظهور جميل الحسن وتصريحاته إلى احتمال كونه «رجل موسكو» البديل عن بشار حين يحين موعد ترحيل هذا الأخير، وهي لحظةٌ لا مفرّ منها بصرف النظر عن نتائج الحروب الدائرة على الأرض السورية. لكنه تفسيرٌ يفتقد إلى التماسك. فقد يكون من المناسب أكثر إعداد هذه الطبخة الروسية المفترضة بعيداً عن الأضواء، فضلاً عن أن تصريحات الحسن هي حرقٌ له لا تمهيدٌ لصعوده، على فرض أن الأسد وأركان نظامه قابلون للحرق المعنويّ كما سائر البشر والكائنات.

الرسالة التي أراد النظام إيصالها إلى كل من يعنيهم الأمر هي أن بشار هو الأقل عنفاً، أي الخيار الأقل سوءاً من غيره. ولسان حاله يقول: هل تريدون أن يحكمكم جميل الحسن أو أحد أشباهه من «مؤسّسات الدولة» التي يريد الروس والأميركيون الحفاظ عليها؟ بكلماتٍ أخرى: هل تريدون الأسد أم تريدون «نحرق البلد» الذي هو جميل الحسن؟

الفصائل الإسلامية، هل تقرأ التاريخ؟

أحمد عيشة

بلدة مسرابا بريف دمشق - المكتب الإعلامي لقوى الثورة

لربما ما ميّز مسار الثورة السورية مؤخراً أمران: أولهما العنف المفرط للطائرات الروسية وأسلحتها المختلفة في تدمير المدن وقتل البشر في مسعىً لسحق الثورة وإنهائها، والثاني هو الاقتتال الداخليّ بين الفصائل العسكرية المعارضة ذات المرجعية الإسلامية.

خلال الشهر الماضي، وبينما كانت الطائرات الروسية تضرب بشدّةٍ على المناطق التي دخلتها الفصائل المسلحة في مسعاها الأخير لفك الحصار عن شرق حلب، بعد أن نجحت مؤخراً في إبعاد الفصائل عن غرب المدينة؛ اندلعت معارك عنيفةٌ في أقصى نقاط الشمال السوريّ، في مدينة اعزاز المجاورة للحدود التركية، بين حركة أحرار الشام الإسلامية والجبهة الشامية، بذريعة مكافحة الفساد الذي تمارسه الشامية، وهي الفصيل الذي يسيطر ويدير المعبر منذ مدّةٍ طويلة، وصولاً إلى اتهام أحد أركانها، أبو علي سجّو، بتهريب السلاح إلى قوات سورية الديمقراطية في المنطقة المجاورة عفرين، مقابل عمولاتٍ ماليةٍ كبيرة. سمّيت المعركة «نصرة المظلوم»، وانتهت في اليوم التالي بمزيدٍ من الضحايا، وبسيطرة الحركة على معظم النقاط في المدينة، والاتفاق على اللجوء إلى محاكم لحلّ ما تبقى من خلاف.

وفي الأسبوع الذي سبقه، في غمرة معركة فك الحصار عن شرق حلب، اندلع القتال بين كلٍّ من حركة نور الدين الزنكي وكتائب أبو عمارة من جهة، وبين تجمع فاستقم كما أُمرت من جهةٍ أخرى، عقب خلافٍ حول اعتقال التجمع أحد شخصيات الحركة. وقد تمكن المهاجمون من السيطرة على مقرّات التجمع وأسلحته وذخائره، فأصبح مكشوفاً قليل التسليح، وهو الفصيل المهم ضمن تشكيلات الجيش الحرّ.

وفي مرحلةٍ سابقةٍ وقعت معارك أعنف في غوطة دمشق، بين جيش الإسلام من جهةٍ وفيلق الرحمن وأجناد الشام من جهةٍ أخرى، وسقط عددٌ كبيرٌ من الضحايا بلغ المئات. لينتهي القتال، بعد فترة إنهاكٍ للطرفين، بقبول تشكيل محكمةٍ لحلّ الخلافات بينهما.

ما يميز الاشتباكات بين الفصائل المذكورة أنها جميعاً تشترك في مرجعيةٍ واحدةٍ من الناحية العقائدية، وهي الشريعة الإسلامية، بغضّ النظر عن مدى ودرجة الالتزام بها، خاصةً وأن تلك الاقتتالات تنتهي -على الدوام- بتشكيل محكمةٍ شرعيةٍ تحكم وفق «ما يرضي الله»، تتشكل من شرعيين وقضاةٍ من الطرفين المتقاتلين وسواهما.

لربما نجد بعض التفسير عند التمعن في الركائز التي حكمت تشكيل العقل السياسيّ الإسلاميّ وما زالت تحكمه، من جاهٍ ومالٍ وسلطة، وبلغة محمد عابد الجابري: القبيلة والعقيدة والغنيمة.

فمنذ نشأة هذه الفصائل كانت الغنائم ركناً أساسياً في ذهنيتها، مستندةً إلى تراثٍ إسلاميٍّ عريقٍ حول هذه المسألة. وبلغةٍ حديثةٍ يمكن التعبير عن ذلك بالمصالح والثروة، فالثروة قضيةٌ أساسيةٌ في تمويل نشاطات الفصيل. وليس سراً مقدار الأموال التي تجنيها الجبهة الشامية من حركة المرور في المعبر، وهو الأمر الذي تدركه الحركة جيداً وهي التي تسيطر على معبر باب الهوى وتديره (كلاهما رفض بشدةٍ تسليم إدارة المعبر لجهةٍ مدنية، مع ضمان حقوقهما المالية). ناهيك عن الأعمال غير النظامية التي يقوم بها بعض أركان الشامية، وصولاً إلى ما أعلنته حركة أحرار الشام من قيامه ببيع الأسلحة إلى جهةٍ يعتبرونها معادية.

من جهةٍ ثانية، لم تغب الصراعات العقائدية عما جرى في مدينة حلب بين الزنكي والتجمع. ومن المعروف أن الحركة كانت براغماتية التوجه، لكن تقاربها الأخير مع جبهة فتح الشام، وما أعقبه من تقليص المساعدات أو حجبها من الأميركان، زادها التصاقاً بالجبهة، أي تحولها باتجاه المشروع المتشدد، عكس التجمع المعتدل والمنفتح تجاه الجميع.

وربما تبرز في غوطة دمشق، إضافةً إلى الخلافات حول العقيدة والثروة، الركيزة الثالثة وهي القبيلة، بمعنى الارتباط والولاء والامتداد مع الداعم الإقليميّ. فجيش الإسلام، وهو القوة الأكبر في المنطقة، ينتمي أساساً إلى مدينة دوما، ويعبّر عن إسلامٍ سلفيٍّ غير منظم ضمن الأطر الجهادية، بينما ينتمي مقاتلو فيلق الرحمن إلى مدنٍ وبلداتٍ أخرى في الغوطة، وهو أقرب إلى الجماعة الإسلامية التقليدية المعارضة، وينازع بشكلٍ أو بآخر دور جيش الإسلام ونفوذه.

بالطبع، المستفيد الأول من هذه المعارك جهةٌ واحدةٌ هي النظام وحلفاؤه. فهل تدرك الفصائل أهمية هذه النقطة وتسعى نحو خطابٍ وطنيٍّ يضع مصلحة السوريين ومصيرهم أولاً، وهو المصير الذي يهدد الجميع ما لم تتخلّ الفصائل عن نزعاتها العدوانية وتنتقل إلى حالة التشارك، وتوحّد الركائز الثلاثة السابقة لما فيه المصلحة المذكورة، أم أنها ستسير -كما الفصائل قبلها في أفغانستان- نحو التعفن والاقتتال إلى حدّ الرضوخ والموت؟

لماذا لا يفاجئ خذلان مجلس الأمن لمدينة حلب أحداً

دراغانا كورين*
موقع newsdepply-21 تشرين الأول 2016
ترجمة مأمون حلبي

أنا متأكدةٌ تقريباً أني شاهدت لافروف، وزير الخارجية الروسيّ، في مكتبةٍ في مانهاتن هذا اليوم. كنت أريد أن أمشي إليه وأنعته بمجرم الحرب والوحش، وأقول لكل شخصٍ حولنا إنه كان الرجل الذي يذبح المدنيين العُزَّل في حلب. لكن بعد نصف ساعةٍ من تتبعه لم أستطع أن أحدد إن كان ذاك الشخص هو لافروف بالفعل.

فتحت على صفحةٍ في ويكيبيديا عليها صورته. قرأت في هذه الصفحة أن لافروف كان، أثناء دراسته الجامعية، ناشطاً في مجال المسرح. يليق به هذا الأمر، لأن اجتماعات مجلس الأمن كثيراً ما تعطي انطباعاً وكأنك تشاهد عرضاً مسرحياً تم إنتاجه بشكلٍ جيد. المناقشات الحقيقية لا تحدث في قاعة مجلس الأمن، وإنما خلف أبوابٍ مغلقةٍ في قاعة المؤتمرات المجاورة. أحياناً هناك صراخٌ وشتائم وتهديدات، حتى أني سمعت بأشياء يتمّ رميها على بعضهم. قبل أن يخرج ممثلو الدول يعرفون بالضبط ما سيقوله كل واحدٍ منهم، ومن سيستخدم الفيتو، ومن الذي سيمثل دور المصدوم من سماع الفيتو.

لم تَعُد حلب تخصّ سوريا. إنها الآن لعبةٌ سياسيةٌ بين أُناسٍ يحتمل جداً أن أقدامهم لم تطأ المدينة أبداً. بشار الأسد اعتبر هذه اللعبة «نزاعاً أميركياً روسياً»، مقارناً سوريا بالنزاعات التي حصلت في فيتنام وكوريا. بالنسبة إلى روسيا، حلب هي فرصةٌ لتمارس قوتها، والروس لن يتوقفوا عن تدميرها إلى أن لا يتبقى شيءٌ يمكن تدميره، أو إلى أن يذعن الحلف الغربيّ، فتقايض حلب بمكسبٍ جيوبولوتيكيٍّ آخر.

هناك عتباتٌ في القانون الإنسانيّ الدوليّ تمّ تجاوزها في هذا النزاع. ضرب قرىً بالأسلحة الكيماوية، ومهاجمة القوافل الإغاثية، والاستهداف المنهج للمشافي؛ كل هذه خطوطٌ في الرمال عندما يتعلق الأمر بالتدخل الإنسانيّ الذي أعاد المجتمع الدولي رسمه.

بعد الحرب في البوسنة زعمت جوقة قادة العالم: «لو كنا وقتذاك نعرف ما نعرفه الآن». بقيت روسيا هادئةً بخصوص تلك المسألة، طبعاً، لأنها كانت تدعم القوى الصربية أثناء الحرب بتزويدها بالسلاح واستخدام الفيتو حول أيّ أمرٍ يعبر قاعة مجلس الأمن. روسيا، بالمجمل، استخدمت الفيتو ضد ثلاثة قراراتٍ تتعلق بالبوسنة وخمسة قراراتٍ تتعلق بسوريا حتى هذا التاريخ.

الصحفية جانين دي جيوفاني أعادت إلى الذاكرة إقامتها في البوسنة، مع صحفيين آخرين، باعتباره مسؤوليةً أخلاقيةً أن تبث الدمار وجرائم الحرب التي كانت تجري هناك. إنه لأمرٌ يفطر القلب رؤية التغطية الواسعة التي كانت تلقاها الحرب على شبكة السي إن إن، في حين أن أولئك الذين في السلطة كانت لديهم الوقاحة في ما بعد لأن ينظروا في أعيننا ويقولوا: «لم نستطع أن نتصرف. لم نكن نعرف أن هذا كان يحصل». كانت تلك حجةً ضعيفةً في حينها، في أفضل الأحوال، وحجةً مستحيلةً الآن، مع وجود إمكانية البث الذاتيّ عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ. لا يحتاج السوريون إلى شبكة السي إن إن أو إلى وسائل الإعلام الأجنبية الأخرى ليظهروا ما يحدث حولهم. لقد وجهوا كاميرات هواتفهم إلى صفوفٍ كثيرةٍ لأجسادٍ صغيرةٍ ميتةٍ دون أن تظهر عليها آثار جروح. حصل ذلك بعد الهجوم بغاز الأعصاب عام 2013. ونشروا فيديوهاتٍ لفتيانٍ صغارٍ استبد بهم الجوع، وقد غارت أعينهم، يتوسلون المساعدة في مضايا. لقد صوروا عمران دقنيش المدمّى والمذعور قابعاً في سيارة إسعافٍ يمسح الدم الموجود على وجهه. لا يمكن مسح هذه الصور من الذاكرة. ما يقلقني هو أن الغرب قد استنفد ذرائعه، وفي النهاية سيتحتم عليه أن يعترف أن المساعدة لن تأتي أبداً لأن حياة أولئك الناس لا تستحق الإنقاذ.

إننا مجرد بيادق، وهذا حال أهالي حلب. إن كان ثمة شيءٌ أستطيع قوله لهم، وهذا ليس من باب التشاؤم، وإنما من باب الخبرة: لا تعلقوا أي أملٍ على محادثات السلام هذه أو على أيّ قرارات، لأنها لم تعد تتعلق بكم. إن القول إنه على الحلبيين أن يتعلقوا بالأمل هو قولٌ مخادع.

* لاجئةٌ من الحرب البوسنية. عملت في وقتٍ سابق مع مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية ومع منظمة اليونيسيف.

من سيرة قومي عربي

في جنازةٍ كبيرةٍ تفرضها المشاركة الرسمية لمسؤولين من نظام الأسد في محافظة طرطوس، شيّع، قبل ثلاثة أسابيع، الأمين العام لحزب «الاتحاد العربي الديمقراطي»، غسان أحمد عثمان، في مدينته بانياس. وإلى جانب المسؤولين المحليين ظهر بين المشيّعين شيوخٌ وكهولٌ من أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، وجدوا في وفاة عثمان فرصةً للقيام بعملٍ ما، يبدد الملل في أيامهم الخالية تقريباً.

ذكّرت وفاة عثمان بظاهرةٍ مندثرةٍ أو تكاد من ظواهر السياسة لدى السوريين، هي الناصرية والمنتمون إليها، بتحولاتهم الفكرية والتنظيمية التي انطلقت من تمجيد دكتاتورٍ وانتهت بتمجيد دكتاتورٍ آخر. عاش غسان أحمد عثمان 83 عاماً، قضى النصف الأول منها تقريباً مأخوذاً بجمال عبد الناصر، والنصف الثاني مأخوذاً بحافظ الأسد. وخلال هذه السنين الطويلة من «نضال» الرجل لم يجرب الخوض في مغامرات. ولولا لحظة طيش أيام شبابه رفض فيها إزالة صورة عبد الناصر من مكتبه في بلدية بانياس، ثم اعتقاله لبضعة أيام، لخلا تاريخه السياسيّ من التضحية. فقد كان دوماً إلى جانب الطرف المتغلب في أيّ صراع، فأيّد، مثل غيره من الناصريين، انقلاب حزب البعث في آذار 1963، ثم انقلاب العسكريين على المدنيين في هذا الحزب عام 1966، ثم انقلاب حافظ الأسد على الجميع. وحين عصف الصراع بصفوف حزبه «الاتحاد الاشتراكي العربي»، عام 1972، على خلفية المادة الثامنة من الدستور السوريّ المقترح آنذاك، التي تقضي باحتكار حزب البعث قيادة الدولة والمجتمع، كان عثمان في زمرة من ظلوا من الاتحاد في «الجبهة الوطنية التقدمية»، في حين خرج رئيس الحزب جمال الأتاسي واتحاديون كثر منها احتجاجاً وتحولوا إلى معارضين.

بقليلٍ من الجهد والتخطيط من جانب الأسد تتالت الانشقاقات في صفوف الأحزاب الناصرية وغيرها. ووقف عثمان دوماً مع الجناح الأكثر موالاةً للأسد في كلّ انشقاقٍ أو تنافس، فكان مع فوزي كيالي ضد الأتاسي، ثم مع إسماعيل قاضي ضد كيالي، إلى أن تفوق صفوان قدسي على منافسيه بفضل وشايته بهم بتهمة «الإساءة للعلويين»، فاستتبت له الأمانة العامة في اتحاده الاشتراكي منذ العام 1983 وحتى اليوم. ورغم علاقته اللصيقة بأجهزة المخابرات لم ينجح قدسي في الحفاظ على تماسك حزبه، فخرج من عباءته الوزير الجبهويّ السابق حكمت بيازيد الذي أعلن -من حديقة عامة في القرداحة- تأسيس تيار «الأسدية» بمنطلق نظريٍّ وحيدٍ هو أن «الاستفتاء الوحيد في تاريخ سورية هو الاستفتاء على حافظ الأسد». كما خرج الوزير الجبهويّ السابق أيضاً، يوسف جعيداني، مع غسان أحمد عثمان وشكلا «الاتحاد العربي الديمقراطي الناصري»، دون أن يفلحا في إلحاق حزبهما بالجبهة في عهد حافظ الأسد. وبعد وفاته، ومع تولي عثمان الأمانة العامة وحذف كلمة «الناصري» من الاسم، أضيف العربي الديمقراطي إلى أحزاب الجبهة، ومن حينها لم يجد عثمان ما يسعى إليه.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

حقّ التعليم للسوريين في تركيا

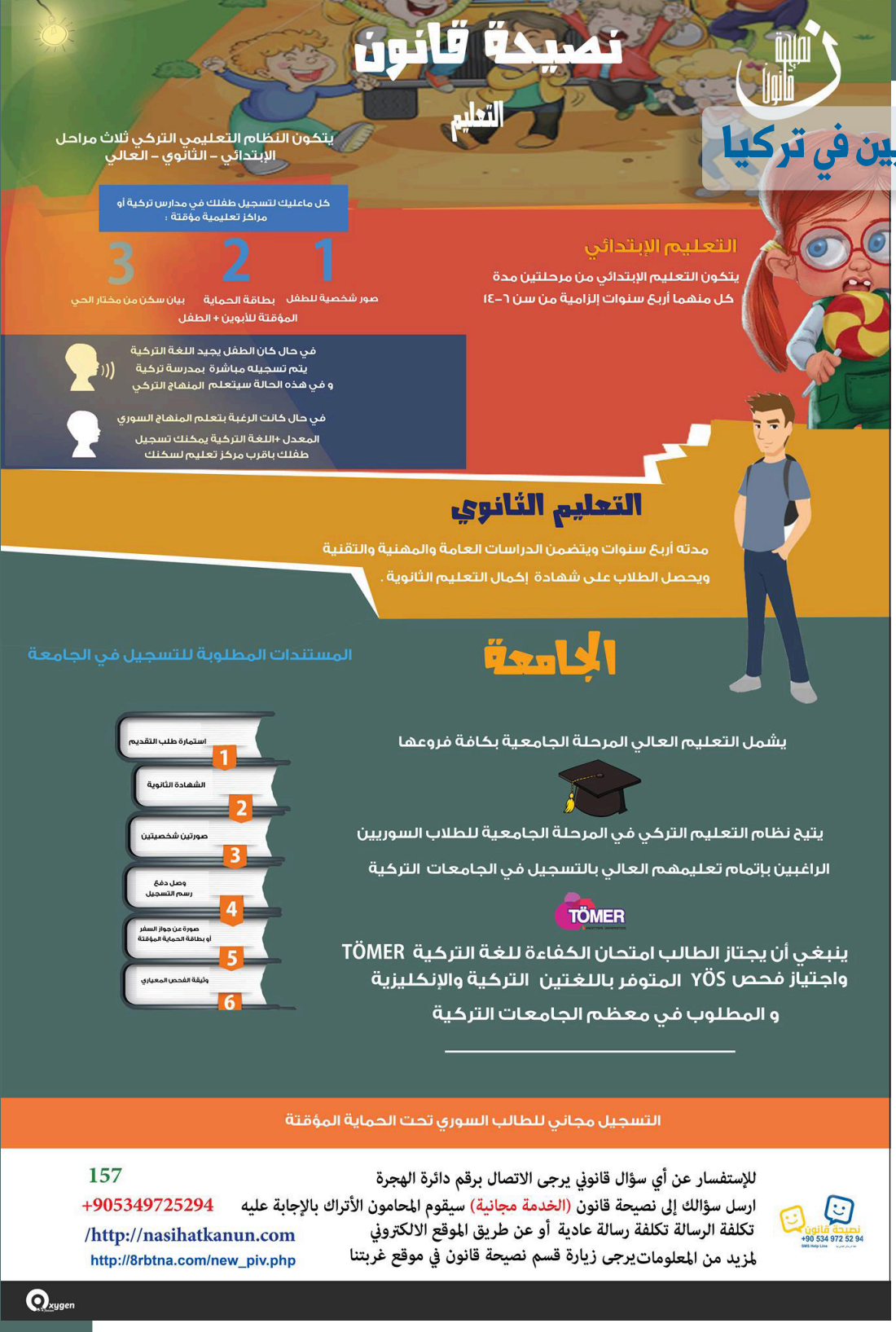

يحقّ للسوريين المشمولين بنظام الحماية المؤقتة تلقي التعليم الابتدائيّ والثانويّ مجاناً في تركيا.

النظام التعليميّ في تركيا

يتكوّن النظام التعليميّ التركيّ من ثلاث مراحل؛ الابتدائيّ والثانويّ والعالي.

- التعليم الابتدائيّ: يتكوّن من مرحلتين، مدّة كلّ منهما أربع سنوات. ويكون إلزامياً للأطفال من سنّ 6-14 سنة. ويلتحق الأطفال بالمدرسة الابتدائية في شهر أيلول من كلّ عام.
- التعليم الثانويّ: مدته أربع سنواتٍ، ويتضمن الدراسات العامة والمهنية والتقنية. ويحصل الطلاب على شهادةٍ عند إكمال التعليم الثانويّ.
- التعليم العالي: يشمل المرحلة الجامعية بكافة فروعها. وينبغي على الطالب الراغب في الدراسة الجامعية اجتياز امتحان الكفاءة في اللغة التركية (TÖMER)، واجتياز فحص (YÖS) المتوافر باللغتين التركية والإنكليزية، والذي تقوم بإجرائه كلّ جامعةٍ على حدة. وقد يكون التقدم للامتحانين خاضعاً لبعض الرسوم.

نقاط مهمة

- التعليم الابتدائيّ إلزاميٌّ للذكور والإناث.
- يحقّ للطلاب السوريين المسجلين بنظام الحماية المؤقتة تلقي التعليم المجانيّ في المدارس التركية إذا كانت لغتهم التركية بالقدر الكافي، أو في مراكز التعليم المؤقتة للمتحدثين باللغة العربية إذا كانوا لا يتحدثون اللغة التركية.

تحتاج إلى بطاقة الحماية المؤقتة أو إذن إقامةٍ للتسجيل في المدارس التركية أو في مراكز التعليم المؤقتة.

بإمكان البالغين السوريين المسجلين في نظام الحماية المؤقتة الاستفادة من دورات تعلم اللغة، والمهارات، والأنشطة، والتعليم المهنيّ التي تقدمها مراكز التعليم الحكومية.

هل يتمّ الاعتراف بالشهادة السورية في تركيا؟

يجب التحقق من صحة جميع الشهادات الأجنبية، بما فيها الشهادات المدرسية والإجازات الجامعية، من قبل مديريات التربية أوالجامعات في المحافظة المعنية للحصول على الحقّ في مواصلة التعليم في المدارس أو في مؤسسات التعليم العالي.

المنح الدراسية

الطلاب السوريون الراغبون في الحصول على منحةٍ دراسيةٍ في الجامعات التركية ينبغي أن يقدموا الطلب على الرابط التالي:

www.turkiyeburslari.gov.tr

وتعدّ هذه المنحة الدراسية تنافسيةً، وليس هناك ما يضمن الحصول عليها.

كما تقدم المفوضية العليا لشؤون اللاجئين عدداً محدوداً من المنح الدراسية في الجامعات التركية، من خلال برنامج المنح الدراسية DAFI، بالتعاون مع برنامج المنح التركية.